الثانتوفوبيا

عنوان الكتاب : الثانتوفوبيا
الموضوع : روايةٌ قصيرةٌ
التـأليـــف : مصطفى علي دنقل
مراجعة لـغوية : أميرة محسن
الإخـراج الفـني : عمرو سواح
تصميم الغلاف : شادي راغب #غرّد_للعالم
الطبعة الأولى : 2018
رقم الإيداع : 2018/ 20861
الترقيم الدوليّ : 978-977-6639-46-1
النـــاشـــر : دار تـويتـة للنشر والتوزيـع

tweetpublishing2017@gmail.com

www.facebook.com/Tweetforpublish

٧ش محمد أبوالعطا- محطة العريش-فيصل- الجيزة

رئيس مجلس الإدارة: م/ أحمد عبد العزيز

المدير العام: أ/ رشا العمري

٠١٠١٧٧٩٩٧٩٩/٠١٢٢٥٧٦٢٠٦٦

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

رواية قصيرة

الثانتوفوبيا

مصطفى علي دنقل

إلى أبي وأمي العزيزة

وأختي التي أحبها

وإلى فتاةٍ ما .

وإن لم يكن لهم فإنه حتمًا إلى العدم .

الرواية

يوم من أيام شهر نوفمبر، شخصٌ ما من هذا العالم البائس يجلس في منزله وتحديداً في غرفته التي تمثل له هذا العالم ، شخصٌ يحب القراءة والكتابة ، كأنهما آخر ما تبقى له.

كانت له أحلامًا كثيرة جداً ، وكان يحققها كلها ، لكن بالتأكيد داخل عقله وخياله فقط ، لأن الحياة لا تحب هذا الهراء.

لطالما كانت الحياة نفسها هي الهراء ، لكن لم يكن هناك أحد يخبرها بهذا الأمر علّها تفكر في تغيير نفسها ولو قليلاً.

كان هذا الفتى عظيمًا في الكتابة ، وكان يحبها حقًا كأن لم يحب شيئًا من قبل ، إذا احتاج أن يتقيأ كل ما في عقله من أفكار ... كتب.

حقيقةً ، واجه الكثير من آراء الناس السلبية بخصوص طريقته في الكتابة ، ولكن لم يكن يبالي لهم وكان يقول لهم في سره "فلتذهبوا للجحيم" أو أحيانًا عندما يكون مزاجه جيدا يقول لهم "عليكم اللعنة" في سره أيضًا.

ومن ناحية اللامبالاة فإنه كان غارق فيها تمامًا ، لم يكن يبالي بأي شيء ، مهما كان ، ولكنه للأسف كان يلاحظ أصغر التفاصيل الموجودة حوله ، كنملة بجانبه تذهب في جميع الاتجاهات.

دعنا نقول بأن هذا الفتى يسمي "سام" ، ليس اسمه الحقيقي ولكن فلنعتبره هكذا ولا يهم الاسماء الآن.

كان سام فيه منزله ليس كخارجه ، بمعنى أنه كان بداخله يضايقه إخوته ويحملّونه ما فوق طاقته حتى ينهار داخليًا ، وخارجه كان شخص بسيط ويحب الضحك ويلقي النكات على أصدقائه ، كأن ليس له بيت.

كان يكره إخوته ما عدا بعضًا منهم -أحيانًا- ويكره مجالستهم ، كان يبتعد عنهم بقدر المستطاع ليتجنب أذيتهم وكلامهم.

يحب أن يكتم بداخله أي شيء وأي شعور ، مهما كانت النتيجة.

سام لا يحب الكلام كثيراً ، يكتفي بكلمة أو كلمتان للرد ، وأحيانًا لا يطيق الرد من الأساس ، يحب أن يتكلم داخل عقله ، ويكتب في عقله أكثر مما تظن.

يهتم سام بأدب الرسائل ، يقرأ كثيراً الرسائل التي تدور بين الكتاب ، مثل رسائل كافكا إلي محبوبته ميلينا ، ونابكوف إلي ڤيرا ، وغيرهم.

من أحلامه أن يكون له معشوقة مثلهم يراسلها ويكتب لها قلبه وما فيه ، ويرسل لها جميع الافكار التي تحوم داخل عقله.

رأى ما رأى من الحياة ، وتألم كثيراً ، لدرجة أنه بدأ يشعر بأنه لا يتلائم مع هذه الحياة ولا هذا العالم ، كان يريد أن يرحل ، يرحل إلى اللامكان حيث لا أحد هناك ، أن يرحل فحسب.

أراد أن يكون جزءًا من العدم ، لأنه شعر بأنه منه ، كأنهُ خُلق من عدم وليس تراب ، ولكن أليس التراب قد أتى من العدم ؟!.

في الفترة الأخيرة التي قرأ فيها كتب كثيرة وكانت نهاية كل رواية انتحار ، بدأت هذه الفكرة تدور في رأسه حتى ثبُتت ، وقال "لم لا أكتبُ رسالة انتحار لأري هذا العدم الذي أنا جزءًا منه ، وحتى يراني ويعرفَ أيضًا أنني جزءًا منه ".

سام كائنٌ مستقل ، حذر ، وحيد ، منعزل ورائع إلى أبعد حد.

تروقه فكرة الانتحار ، اللاشيء ، واللاأحد والعدم ... لكنه متمسك بأمل ويستطيع أن يتركه في أي وقت يشاء.

أحب فتاةً حولته إلى فتات ، وأخذ يطوف حول نفسه لعله يستطيع أن يجمعه ، ولكن عبثًا ، أمسى يبني نفسه من جديد حتى أصبح شخصًا لا يحبه مما أدى به لهذا المطاف.

***

في يوم من الأيام ، أحب فتاةً وأُعجب بها ، أراد أن يخبرها بحبه لها ولكن لم يستطع ، طلب من صديقه أن يخبرها بهذا لأنه أكثر جرأة وخبرة في التعامل مع الفتيات ، كان يراقبها دائمًا ، ينظر إلي عينيها التي تشبه لون القهوة ، وعروق يديها الرقيقة ، ويراقب تحركات أصابعها ، كل شيء بها يراقبه ، ولو أنه يرى جريان دمها بداخلها لراقبه أيضًا.

كانت أحيانًا تنظر له -بإعجاب- وتبتسم لأنه كان يضحكهم جميعًا في حصة التاريخ ، وقال لصديقه عنها مرةً " أشعر عندما تنظر لي بأني أنا الوحيدُ المضيء بينكم جميعًا رغم ما بي من ظلام ".

ومع مرور الأيام ، يخبرها صديقه بأنه يحبها ، تلعثمت في الكلام -كما قال له- وقالت وأنا أيضًا بخجل وانصرفت ، وعندما أخبره صديقه بهذا ضربه

وقال له لماذا أخبرتها يا أحمق ... هذا بالتأكيد دليل على الفرح الذي يغمره ، كانت هذه المرة الوحيدة في حياته التي شعر بها بسعادة رهيبة كهذه.

والآن ، نظرات بحُب ، كلامٌ جانبي ، ابتسامات جميلة بينهم..

لم يكن يعرف شيء عن الفقد ولا عن نتائجه ، لم يقرأ عن الرحيل ولا الذهاب ، حينها لم يكن يعرف شيء من الأساس.

غابت عنه يوم واثنان وثلاثة ، كره التاريخ واليوم الذي غابت فيه ، وبعد فترةٍ ظهرت من جديد.

وشعر كأنه وقع في حبها مرة أخرى ، لم تنظر له إلا نظرة واحدة ودون معنى ، ولكنه أغرقها بالنظرات ولم يفهم شيء منها.

بعد هذا اليوم الغامض ، اختفت تمامًا ، لم يكن يعلم لماذا أو كيف ، ولكنها اختفت ، ولم يجد أي سبيل لها ، وأخذ يبحث عنها ثلاثة أعوام علّه يجد شيء ... لم يجد.

اختفت كأنها سراب أو هواءٌ كانت ، كأنها اللاشيء أو شخصًا خرج من خياله لوهلةٍ ، اختفت فحسب.

تعب من البحث ، أحسّ بأنه يبحث عن شيء ليس له وجود ، كان هذا أول تعَب له ، وبعد هذا قرر أن يعرف كل شيء عن الحياة وهرائها المعتاد والحب الذي يظهر ويختفي في أي وقت يشاء.

***

" الوحدة ، هذه الكلمة تعبر عن مأساة ومعاناة كبيرة لا يشعر بها سوى الغارق بها ، تقرؤونها كأنها مجرد كلمة ولكنها ليست كلمة من الأساس ، إنها شيء ضخم وكبير ، فراغ يخرج من أسفل سريرك ليحتضنك ولا تنام.

أنت فراغ غرفتك ، أنت الزوايا الخالية فيها أيضًا ، أنت فراغ الأشياء ، والأشياء التي ليس لها فراغ أنت فراغها الغير موجود.

أنت وحيدٌ ، لم تكن تخطط لتكون هكذا لكنها الحياة يا عزيزي ، كم هي مضحكة هذه الحياة ومثيرة للسخرية ، لطالما كنت أضحك كثيراً عند سماعها أو ابتسم.

أنا مثلك وحيد وحزين ، ولكنني تأقلمت مع هذه الوحدة حتى صارت جزءًا من حياتي ، أتعلم شيء ؟! ، لقد كنت أرمي رأسي هذه على الأكتاف بكل ما فيها لكن كما تعلم ليس هناك كتفٌ ثابت ولا يخرج من رأسك اللعين إلا فسيفساء من التعب ، هراء يا عزيزي. "

هذا ما كتبه سام مرةً في أحد مذكراته حين رسم رسمةً ليست برديئة لرجل بجانبه على الحائط ، أخذ يتكلم معه داخل عقله حتى وجد نفسه يكتب.

هو جيد في الرسم ولكن ليس بفنان ، فقد تعلم رسم بعض الأشياء الصغيرة السهلة حتى يتسلى بها في أوقات فراغه التي لا تنتهي.

في مرة كتب في مذكراته بأنه يشعر بأن الأشياء في غرفته تتحدث معه ، قال " الطاولة والساعة الرملية وهذا الحذاء المكروه -بسبب ضيقه- وهذا الدولاب النحيف واللمبة السمينة يشعرونني بأني مثلهم مجرد شيء ، ولكن تحدثهم لي يشعرني بالألفة وبأن لي أصدقاء دائمين ".

قد تعتقد بأنه مجنون أو هذا تأثير الوحدة لكن بالعكس هذا شيء يسلى فعلاً ويولد شعور الألفة ، وأظن بأننا جميعنًا نتحدث مع أنفسنا كأن هناك شخص آخر بداخلنا ، فلن يكون هناك فرق إذا حركنا هذا الشخص الذي بداخلنا ووضعناه في الأشياء التي حولنا.

الفراق ، الوداع ، الرحيل ، الهروب ، اللقاء ، الموت والحب ، كلها أبواب لشيء يسمى التلاشي ، و سام قد عرف الأبواب كلها وطرقها ودخلها أيضًا ، لذلك يشعر بكل هذا ، يشعر بالتلاشي.

كان يفكر كثيراً حتى تعاقبه رأسه بالصداع كأنها تقول له " كفاك ، ستخرج الأفكار من رأسك وتنفجر " ، وعندما كان يشعر بالصداع ينام متألمًا وأحيانًا لا ينام.

في يوم ما ، استيقظ بصداع ولم يستطع أن يفعل شيءٌ معه ، فقط تركه يؤلمه فحسب ، آلمه حتى نهاية اليوم ، جاء الليل وطفح كيله من هذا الصداع اللعين ، فأخذ يرسم دوائر في ورقة ما ، ووجد نفسه يرسم فتاةً ، ونسي الصداع وأخذ يرسم.

رسم فتاةٌ اعتقد بأنها جميلة جداً -بالنسبة له - رغم سوء الرسمة ، ولكن شيء ما كان يخبره بأنها جميلة حقًا ، وهو ينظر لها نام ونسي الصداع واليوم بأكمله.

أيمكن أن تنسيه ألمه وأيامه فتاةً إذا وقع في حبها أم أنها ستكون مجرد وهم يتمسك به حتى ينسى ما يلاحقه من ألم وخوف وقلق وحزن عميق ، لا يعرف حقًا ، ولا نعرف أيضًا ، لا أحد يعرف ، لطالما كنا لا نعرف شيء عن أي شيء.

***

يومٌ جديد وصباحه مليء بالجمال والأمل ، حتى سام أول مرةً في حياته يكون نشيط ومفعم بالأمل ، أمل نحو شيء يجهله ، ولكن هو يحتاج هذا الصباح جدًا لعلّه يكون بخير كما يتمنى دائمًا.

قرر أن يخرج ويتمشى قليلاً ، بمناسبة هذا اليوم الذي يبدو جيدًا قليلاً ، لبس ملابسه البسيطة وخرج ، لايعرف إلى سيذهب ولكنه يمشى مع قدمه التي توجهه ، لا يوجد وجهةٌ محددة له -كالعادة- ، فليمشي فحسب.

بعد عدة خطوات قليلة وجد مقعد لا يوجد عليه أحد فقرر أن يجلس ليريح قدمه ، وهو ينظر في جميع الاتجاهات وقع نظره على فتاة كان يحبها ، كان يكتفي بالنظرات فقط ، وجدها مع أحدهم ممسكًا بيدها ، ثم ظن ما ظن ، ولكن الغريب أنه لم يشعر بشيء أبدًا ، لم يشعر بالحب الذي كان يكنه لها ولا بالغيرة التي تجعله ينفجر مكانه ، لم يشعر بشيء قط.

نسى الأمر سريعًا ، واستكمل طريقه إلى اللامكان ، وصل لمكان يطل على منظر جميل ورائع ، جلس ونظر للسماء ، كان يحبها كثيراً -السماء- لأنها خالية من البشر وجميلة وتستحق الجمال ، كانت أجمل شيء على هذه الأرض.

ولكن قطع عليه استمتاعه بالمنظر رجل -ليس بكبير في السن- جلس بجانبه يدخن السجائر.

رغب سام في أن يتحدث معه قليلاً وقال له " ستجعلك تقع في حبها ولا تستطيع الاستغناء عنها وستدمرك رغم معرفتك بهذا ومن ثم ستقتلك ".

نظر له بتعجب و رد عليه قائلًا " أحمق ، إنني هكذا استمتع بموتي وأتعلم عدم الخوف من أبسط الأشياء ، انظر للسيجارة إنها شيءٌ هش وبسيط جداً وتستطيع أن تقضي عليها بيديك ولكنها تعلمك عدم الخوف من أكبر وأصلب الأشياء. "

ثم صمتوا للحظةٍ وأكمل الرجل " إنها تضحي بحياتها من أجل أن تعلمك شيء يا فتى. "

نهض سام وترك الرجل ورحل ، أخذ يفكر فيما قاله ، لكن مجرد تفكير بلا نتيجة أو تغيير وجهة نظره.

ثم أكمل طريقه راجعًا للبيت ، ولكن حدث أمرًا ما غريبًا جدًا ، وهو يمشي وجد على الأرض ظرفٌ ومكتوبٌ عليه " إلى مجهول" ، كان بداخله رسالة ولكنه لم يفتحها لعل صاحبها يغضب بشأن خصوصيتها ، احتفظ بها وذهب إلي المنزل مسرعاً ودخل إلي غرفته ولا يعرف ماذا عليه أن يفعل.

كان سام تدور في رأسه الكثير من الأفكار حول هذه الرسالة ، وكان فضوله كبيراً لمعرفة ما تحوي الرسالة ، ودارت بينه وبين نفسه حرب فضولية شنيعة ، كانت الأفكار تأكله حد الإبتلاع ، كذبابة تتخبط على نافذة.

وضعها على طاولته واخذ ينظر لها ويحدثها علّها تتحدث عن ما بداخلها ، وتنتهي حربه العقلية ، ووصل إلى حل جيد ، سيفتحها بعد أربعة أيام بشرط أن يذهب كل يوم لنفس المكان الذي وجدها فيه ، عله يجد صاحبها أو المجهول.

كان هذا حل سليم يدل على ذكائه وقدرته على التفكير أثناء حروبه الداخلية ، لكن رغم هذا الحل لم يتوقف عقله عن التفكير ، ماذا يفعل المرء ليوقف تفكيره تجاه شيء ما..؟ .

كانت الأيام تمر سريعًا -كالعادة- ولم يكن يحصل على نتيجة بخصوص الرسالة ولم يكن يجد أحد ، ولكن كان يجد نفس الرجل صاحب السيجار في مكانه كل يوم.

هكذا نحن عندما نبحث عن شيء ما ونريده أن يظهر لنا ، لا نجده ، وعندما لا نبحث عنه ويكون خارج عقلنا نجده حولنا في كل مكان لكن بلا فائدة ... هذه الحياة تسخر منا في كل شيء بسبب غباءنا تجاه تفاحة.

في اليوم الأول ، جلس بجانب نفس الرجل ، ونظر له الرجل وضحك نصف ضحكةً..

وقال بسخرية " الأحمق مجددًا " ضحك سام أيضًا..

أكمل الرجل حديثه وقال " ماذا تفعل هنا ، أتريد إقناعي بعدم التدخين أم شيءٌ آخر ؟ "

رد عليه سام " لا ، أنا هنا لشيء آخر أضيّع عليه وقتي أهم من تضييع وقتي بإقناعك "..

ضحك الرجل بسخرية وقال " حسنًا ، أتريد إخباري به علّني أساعدك أو أُضيع وقتي معك أنت وهذا الشيء ؟ "..

رد سام " سأخبرك ، لقد وجدت رسالة ما ومكتوب عليها لمجهول ، ولا أعرف ماذا أفعل بها ، أأفتحها ؟ "..

أجاب الرجل " لمجهول ! ، إذًا عليك أن تفتحها ، فأنا مجهول وأنت مجهول ، جميعنا مجهولين يا ولدي "..

رد سام " سأفعل ، ولكن بعد مرور ثلاثة أيام ، علني أجد صاحبها "..

وصمت كلاً منهما واستمتعا بمشاهدة الغروب وجماله ، لطالما أحب سام الغروب لأنه يشبهه.

اليوم الثاني ، ذهب سام من نفس الطريق ووضع قدمه على نفس خطوات قدمه السابقة ، يحب أدق التفاصيل ، كان مجنونًا بالتفاصيل التي لا ينتبه إليها أحد.

واصل السير حتى وصل لنفس المكان ووجد نفس الرجل ، والغريب أنه لم يغير حتى ملابسه كأنه لم يفارق مكانه أبدًا من الأمس ، كان سام يسأل نفسه ، هل هو متسول أم ليس لديه منزل ، أم أنه فقد أحدهم في نفس المكان ؟!.

جلس بجانبه ولم يتحدث أحدهم لبضع دقائق ، وبدأ سام يستغرب الأمر ، فنظر له بطرف عينه يراقبه.

فجأة تحدث الرجل وقال له " لماذا أنت خائف وقلق دائمًا يا ولدي ؟ "

نظر له سام بتعجب ودهشة ورد قائلًا " وكيف عرفت بأنني هكذا ودائمًا "

ضحك الرجل وأجابه " أنت أحمق فعلاً ، أسألك سؤالًا وتُجيبني بسؤال أيضًا "

وأكمل حديثه " هيا ، أخبرني كأني عقلك أو كأني هواءً يمر من خلالك فيعرفك "

رد عليه سام " أنا حقًا لا أعلم لما أنا خائفًا أو قلقًا ، أظن بأن المخاوف التي لا تكون مشغولة بالآخرين تأتي لي لأني مثلهم لست مشغول بالآخرين ، فتظن -المخاوف- أني منهم "

قاطع الرجل حديثه قائلًا " الله يا ولدي أقرب لك من مخاوفك هذه ، وأقرب إليك من نفسك وقلقها "..

صمت سام لحظةً وقال " أنا أحب ا لله يا سيدي ، حقًا أحبه ".

بكى سام ولم يستطيع أنُ يكمل حديثه ، فقام يمشي مسرعًا حتى لا يراه الرجل يبكي ويقول له بأنه يبكي كالنساء ، كيف ، هل النساء فقط من يبكون في هذا العالم ! ، الكل لديه دموع لا تنتهي ، والكل يبكي ، المرأة والرجل والطفل والعجوز وقاسي القلب وحتى الأنبياء تبكي .

مشى سام مسرعًا ليعود إلى بيته وعينيه تراقب قدماه وتنظر لخطواته ، وفجأة اصطدم بفتاةٍ ، ولكنه لم ينظر لها وتأسف لها وأكمل مسرعاً.

كان يتمنى أن يطير حتى يصل البيت سريعًا ، كان يحتاج لغرفته حد التنفس، كان يتمني ويحتاج أشياءً كثيرة ، كان يريد من يحتضنه وبشده.

وصل لبيته أخيراً ، ودخل غرفته مباشرةً وجلس في زاويتها واحتضن نفسه، وبكى ، بكى كأنه يستحم بدموعه ، كأن عينيه بحيرة من الحزن.

في اليوم الثالث ، كالعادة ذهب من نفس الطريق ونفس خُطاه ، نسى كل ما حدث أمس.

بغرابةٍ ، وصل لمكانه المعتاد ، ووجد الرجل كما هو ، كأن هذا منزله.

جلس بجانبه ، بدأت الأسئلة تتراقص في ذهن سام ولم يتماسك ، فسأله سام قائلًا.. " لماذا تجلس هنا دائمًا ، ولا تذهب حتى لتغيير ملابسك ؟ "

نظر له الرجل و رد " وإذا أخبرتك هل ستبكي ؟ "

اندهش سام ، فأكمل الرجل " لا تخجل من بكائك ، جميعنا نبكي نساءً ورجالاً ، جميعنا "..

زادت حيرة سام ولم ينطق بحرف حتى ، وأكمل الرجل قائلًا " سأخبرك ، أنا هنا أُشاهد غروب الشمس كل يوم ولا أفوّت يومًا ، لأن هذا الغروب يشبهني حقًا، حين ظهرت لي زوجتي كنت كالشروق ، وحين رحلت عني أمسيت غروبًا ، كأنني الشمس التي تختفي وراء الجبال خوفًا من العالم ، رغم بُعدها. "

نظر له سام بشفقة وقال " ولماذا تجلس هنا بالذات ، قد ترى الغروب من منزلك ! "

رد الرجل " هي كانت منزلي ، وكل شيء في المنزل وكل زواياه تذكرني بها ، تخيل لقد احتوت المنزل بأكمله حتى بات المنزل جزءًا منها "..

قاطعه سام قائلًا " يكفي ، هذا يكفي رجاءًا ، إننا نعلم جيدًا بأن هذا العالم سيئًا جداً ، لا يسمح لنا حتى أن نرتاح قليلاً مع من نحب ، إنه عالمٌ موحشٌ حقاً "..

رد الرجل " ليس العالم ولا الحياة يا ولدي ، إنه القدر ، القدر الذي لا نعرفه ولا يعرفنا فقط يفعل ما يؤمر دون مبالاة. "

صمت سام قليلاً وقال " وماذا تفعل في حياةٍ كهذه ، حياة أخذت منك ما كنت تعيش لأجله وتحبه ؟ "..

أجاب الرجل " لقد أكلني الاعتياد ، الاعتياد كالنار التي تأكل كل شيء ولا يُطفأها ماءٌ ولا تراب ، لولا هذا الاعتياد ما كنت بجانبك الآن بل بجانبها "..

قال سام " أنا أيضًا اعتدتُ على الحزن والكآبة حتى صاروا مني ، لقد أكلني أنا أيضًا -الاعتياد- ".

وصمت الإثنين معًا ، كلٌ يستدعي ما فيه من أحزان وهموم ، حتى يغربوا مع الشمس أو حتى يأخذهم الهواء النقي ويتبخرا ، حتى يتلاشوا.

اليوم الرابع ، يذهب سام من نفس الطريق ، وهو يسير وجد فتاةً تبحث عن شيء ما وأعتقد بأنها هي صاحبة الرسالة ، ومشي سريعًا إليها ليعطيها ما تبحث عنه ، عندما رأته نظرت له ونظر لها بلهفة ، رأى عينيها جميلةً جداً وبُنية اللون ، واسعتان ، وعندما تنظر لهما كأنك تنظر إلًى لؤلؤ جميل بلمعانه.

سألها سام " هل أُساعدكِ ، على ماذا تبحثين ؟ "

أجابت الفتاة " أبحث عن مفتاح وقع مني في هذا المكان ولا أجده ، سوف يعاقبني أبي إذا لم أجدهُ "..

ابتسم سام لأنها لا تبحث عن الرسالة لأنه يريد أن يفتحها حقًا ، وقال لها " حسنًا لا تقلقي سأبحث معكِ "..

شكرته وأخذا يبحثانِ معًا عن هذا المفتاح ، فكر سام وهو يبحث ، لماذا لا تكون هذه الحياة كمنزل له مفتاح حين يتعب المرء من كل شيء يخرج منه !

بعد دقائق ، وجدت الفتاة المفتاح وشكرت سام لأنه ساعدها في ذلك وطمئنها من البداية ، أحيانًا كل ما تحتاجه المرأة مجرد اطمئنان ، المرأة – رغم قوتها– هشةٌ جداً.

أكمل سام طريقه إلى مكانه الذي يستمتع فيه بأحاديث الرجل وغروب الشمس الذي يشبهه ، وعندما وصل سام ، لم يجد الرجل ، تعجب واندهش وأخذ ينظر في جميع الاتجاهات علّ الرجل قد غيّر مكانه هذه المرة ، لكنه لم يجده.

استغلت الأفكار والتساؤلات هذه اللحظة ، وشنّت حربًا داخل رأس سام ، هل غيّر الرجل مكانه ؟ هل تأخر لأنه يغيّر ملابسه ؟ هل ينظر الآن للغروب من نافذة بيته ؟ ، هل هذا الرجل انتحر وغاب مع الشمس ؟!.

تأخر سام عن المعتاد هذا اليوم ، وعندما لم يأتي الرجل ذهب لبيته ، وهو في الطريق أخذ يتساءل ، هل ملّ مني الرجل لأني أسأله كثيراً أم كان مجرد ظل لي يحدثني ، هل كان حقيقيًا ؟!

حقا لقد اختفى الرجل فجأة كأنه هواءٌ كما اخبره من قبل ، ولكن الحقيقة أن سام لم يعلم أن في وقت الغروب الذي كان ينتظر من الرجل أن يأتي فيه ، كان الرجل فوق سريره فاتحًا نافذته على منظر الغروب ، كان مبتسمًا ناظرًا للشمس وهي تغيب ، كان يغيب معها ، حتى غابت الشمس كلها ولم يبقى منها سوى لونها الأخير وغاب معها الرجل.

***

الآن ، حان وقت معرفة ما في الرسالة من كلمات ومَن الذي أرسله ومَن المجهول ، كان قلق بعض الشيء ، وكان يعتقد بأنها لن تكون سوى مجرد كلمات بلا أهمية ولَن يكون لها حق افتعال كل ما يحدث داخل رأسه بسببها.

بدأ بفتحها ، تفاجأ بوجود رائحة جميلة جدًا بداخلها وانتشرت حوله لدرجة أن أنفه كانت ستنفجر من جمالها ، تلاشى بعيداً للحظة بسبب الرائحة وخطر على باله بسرعة فائقة أنها من امرأةً ، ولكن في نفس الوقت سأل نفسه ، هل هي فتاةٌ أم امرأة متزوجة أم عجوز ؟.

بعد أن عاد من سكرة الرائحة ، قام بتعديل الرسالة وأخذ يقرأ ما فيها ؛

" مرحبًا أيها المجهول ، بالتأكيد أنا لا أعرفك ولم أراك قط ، ولكن مرحبًا على أية حال ، أنا فتاة ، نعم ، أنت تسأل نفسك الآن وتقول هل أنا المجهول أم أحد غيري .

سأجاوبك حتى تهدأ قليلًا وتركز ، نعم أنت المجهول وسأطلب منك أشياء كثيرة

للأسف ، أكمل قراءة الورقة الثانية وأُنصت لي جيداً عزيزي مجهول ".

تفاجأ سام وقال في سره " أأنا المجهول بعد هذا كله ! "

بدأ سام بالقلق حيال هذا الأمر ، وشعر بأنه سيواجه أشياءٌ جديدة في الأيام المقبلة لا يعرف إذا كانت جيدة أم سيئة ، ولكنه سيواجهها فحسب ، ليملأ فراغ أيامه.

بحث سام عن الورقة الثانية التي تحتوي على بقية الرسالة ووجدها ، ولكن برائحة مختلفة وجميلة أيضًا ، قال بسخريةً ؛ " هل هذه الفتاة تكتب داخل زجاجة عطر ! "

عدّل الورقة وبدأ يقرأ ؛

"أولاً إذا كنت لا تريد أن تكمل ولا تريد مراسلتي فيما بعد عليك ترك الرسالة في المكان الذي وجدته فيه ، وثانيًا إذا كنت لا تعرف تكتب شيئًا اتركها أيضًا.

الآن ، بالتأكيد تريد معرفة من أنا وماذا يحدث ، حسنًا سأخبرك ، فلتناديني باسم وليكن ' لارا ' وأنا أحب الكتابة حتى لو أني اكتب هراء في بعض الأحيان، وأرسم أحيانًا أخرى ، وخطرت لي هذه الفكرة ، أن اكتب رسالةً ما كهذه وأضعها في مكان أحبه ، وبما أنك قد وجدتها إذا أنت تحب المكان.

لذا فأنا أريد منك أن تكتب لي رسالةٌ عنك وعن ما حدث معك حين وجدتها ، وضعها في نفس المكان الذي وجدت فيه رسالتي ، ولكن دون أن تراني ودون أن أراك ، وإذا لم تكن تريد فعل هذا عليك أن تضع رسالتي مكانها فحسب. "

انتهى سام من القراءة وبقي مندهشًا لدقائق لا يصدق ما حدث للتو ، في هذا اليوم

قرأ هذه الرسالة أكثر من عشرة مراتٍ ، لا يستطيع التوقف عن قرائتها.

شعر سام بالسعادة من أعماق قلبه ولأول مرة في حياته ، سيكون هناك من يقضي على وحدته وعزلته وسيكون له من يفهمه ويستمع له ، لطالما كان يتمنى أن يرسل مثل هذه الرسائل ، لقد وجد من سيوقف له فكرة انتحاره ، هناك من سيمسك بيده وهو أعلى المبني.

تخيّل أن تكون على وشك الانتحار ولا تريد سوى أن يمسك بيديك أحد ، ولا تجد ، هل العالم بهذا السوء ؟ أن لا تجد يداً تضمك وتحميك من أفكارك السوداوية.

أي شخصٌ في هذا العالم يريد أن يتمسك به أحد بأسنانه ويديه وقلبه ، يريد شخصٌ يكون عالم آخر ، يكون على الأقل لطيفًا معه ، ويكون كتفًا كحائط لا يهتز ولا يسقط.

جميعنا نريد شخصًا عندما ننظر إليه نطمئن وتسكن الراحة قلوبنا ويتلاشى قلقنا وخوفنا من العالم ومن فيه.

قرر سام مراسلة هذه الفتاة ، فأحضر القلم والورقة وبدأ يخرج الأفكار التي تقيم حفلاً صاخبا داخل عقله وكتب:

"نادِني بإسم وليكن سام ، أنا شخصٌ يحب الكتابة حقًا والقراءة كذلك ، وحيد بعض الشيء وأواجه هذا العالم بمساوئه وحدي ، باختصار أنا متمرد على هذا العالم ، بالمناسبة لقد أحببت طريقتك في كتابة الرسالة ، في البداية

اعتقدتُ بأنك مجنونة أو مختلة عقليًا ، وأحببت أيضًا فكرتكِ الحمقاء هذه ، أنتي ذكية وأظنَ بأنكِ جميلةٌ كذلك.

أرسلي لي رسالة أخرى يا لارا ، أوه ، هذا اسم جميل حقًا ، لقد أحببته ، وأحببت رائحة الرسالة أيضًا ، إنها جميلةٌ مثل اسمكِ. "

انتهى سام من الكتابة ، كان يريد أن يضيف الكثير من الكلمات التي تعفنت داخل عقله لعدم قولها لأحد ولكن قرر أن يؤجلها لرسائل أخرى ،ّطبق الورقة ثم وضعها داخل ظرف ، وذهب ليضعها في المكان الذي وجد فيه الرسالة الأولى.

ذهب من نفس الطريق الذي نُقشت خطاه في قدمه ، وهو يسير وجد بعض الورود الجميلة على يمينه ، فإقتطف واحدة ووضعها مع الرسالة ، لطالما كان يعتقد بأن الورد يُقدَم في أي وقت وبدون مناسبة.

عندما وصل سام للمكان المحدد وجد هناك فتاةً وظنّ بأنها هي صاحبة الرسالة.

اقترب سام حتى يراها جيداً ، فوجدها الفتاة التي كانت تبحث عن المفتاح فإطمئن قلبه ، لو كانت هي الفتاة صاحبة الرسالة لن يكون للرسائل أيّ معنى.

عندما رأته ابتسمت له قليلاً ، وابتسم هو أيضًا ، سألها ؛ " هل أضعتي المفتاح مرةً أخرى ؟"

ردت عليه ضاحكةً ؛ " لا ، لست غبية لهذه الدرجة ، ولكن آتي هنا لأني أحب مشاهدة الغروب. " أجابها سام "حسنًا ، فلتعتني بنفسك وبالمفتاح ".

ضحكا الاثنين معاً ، لم يضع سام الرسالة في مكانها خوفًا من أن تراه أو تأخذها ، فذهب وجلس على مقعدٍ ليس ببعيد ، وأخذ يفكر في ابتسامتها.

لقد كانت جميلة هذه الفتاة ، لها عينان تسكنهما السماء بنجومها ، ولها ابتسامة تجعلك تعتقد بأنها مخلوقة من نور وليس من ترابٍ ، إنها جميلة حقًا ، رغم إنه كان يدعو ا بألا تكون هي صاحبة الرسالة.

وهو يجلس نظر لنفس المكان ولم يجدها ، لقد رحلت ، ذهب للمكان ووضع الرسالة وأخذ يترقب يمينًا ويسارًا حتى لا يراه أحد ، ورجع إلى بيته.

دخل غرفته وأخذ الانتظار يأكله كما كان القلق يفعل ، كان يتمنى أن تمر الأيام مسرعةً.

الانتظار ، الاكتئاب ، التفكير ، الندم ، الوحدة والضيق ، كلها أشياءٌ تقتل الإنسان ببطيء ، كشخص يلفظ أنفاسه الأخيرة وهو ينظر لكل من حوله ، المحيطين به ، الذين يدّعون بأنهم عائلته.

لا أحد أبدًا سيشعر بما تشعر به ، كلاًّمنا يذوق الألم بدرجات مختلفة – رغم تشابه الأسباب – ، لذا لن ولم يشعر بك أحدًا حتى إذا كنت تدّعي أنت أيضًا بأنه شخص يسكنك.

كل هذه الأشياء لها حروب مختلفة معنا ، تخيّل بمجرد أن تنتهي من حرب تدخل في أخرى مباشرةً ، أنتم لا تعرفون ، الإنسان إذا بدأ حربًا مع نفسه فلن يتوقف ، ولن تتوقف الحروب ، ولن يكون أحداً قادرًا على إيقافها ، سيكون قادرًا فقط على أن يخوضها معنا ، بالمناسبة لِما لا تخوضون معنا حروبنا ؟ .

كونوا معنا دائمًا كما تقولون ، ولا تكونوا جزءًا من الفراغ.

استمر الانتظار والقلق في تدمير سام يومين متتاليين ، كان سام خلال اليومين يخرج من بيته بحثاً عن الرسالة ، وفي اليوم الأول لم يجد رسالته وبدأ يقلق خوفاً من أن يكون أخذها أحد غير الفتاة -لارا- .

وفي نفس اليوم ، وجد الفتاة صاحبة المفتاح ، وزاد هذا اضطرابه خوفًا من أن تكون وجدت الرسالة ، فهي تجلس بالقرب قليلاً من موضع الرسالة ، قرر أن يخفف اضطرابه فتحدث معها قائلًا ؛ " كيف حالك اليوم ؟ "

ردت عليه مبتسمةً ؛ " بخير وسعيدة جداً."

قال: " هذا واضح على وجهك الجميل هذا "

ضحكت بخجل وأحمر وجهها كثيرًا وأصبح مُشابهًا تمامًا للون الورد الذي بجانبها ، كأنها منها ، ردت عليه قائلة ؛ " شكرًا ، هذا كثيرًا ، سأذهب حتى لا أتأخر فأنا

هنا من وقت طويل ".

ضحكت له ورأسها يكاد يُدفن في الأرض من شدة الخجل ، وسام مبتسمًا أيضًا قال لها إلى اللقاء.

في اليوم الثاني من انتظار الرسالة خرج متفائلًا وليس كالمعتاد ، وعندما وصل لمكان الرسالة وجدها ، فرح جدًا لوجودها وكاد يصرخ قائلًا " أخيرًا " ، أخذها ورجع مسرعًا للبيت ليقرأها..

"سام ! هذا اسمٌ جميل حقًا ، سعيدةً لأن هناك من وجد رسالتي وسعيدةٌ أيضًا بأنك ستكتب لي وأكتب لك ، وأنا مثلك وحيدةٌ ومنعزلةٌ تمامًا عن من حولي ، لهذا فكرت بهذه الفكرة الحمقاء كما تقول ، أنت تستعمل عبارات جيدة في الوصف سام.

زيادة تأكيد ، سنظل نكتب هكذا لبعضنا البعض دون أن أراك أو تراني ، أظن أنك تعرف بأن هذا أفضل لنا ولرسائلنا.

ولكن سأوصف لك نفسي ، أنا فتاة جميلة ولا يوجد هناك فتاة تقول بأنها جميلة ولا أعلم لماذا ، وعيناي واسعتان ولونهما بني كالقهوة ، لستُ بطويلة ولا قصيرة ، تستطيع أن تقول متوسطة.

بعد هذا كله لك أن تتخيل ، سنتراسل بنفس الطريقة كل مرة لا تنسى. صِف لي نفسك وأخبرني بالكثير عنك ، أريد أن أكون بداخلك لساعاتٍ. "

كالمعتاد ، يقرأ سام الرسالة أكثر من مرةٍ لجمال كلامها وبساطتها ، لطالما

أحب الحروف التي تكتب وأحب أيضًا الشعور الممتع الذي يشعر به حين يقرأ كلامًا جميلًا.

كان سام سعيدًا جدًا كأنه خُلق للسعادة ، كان يؤمن بأن السعادة هي التعاسة ساخرة – كما قال أحدهم – ولكنه رغم ذلك سعيدًا حقًا ، لقد أحب نفسه وهو هكذا وتمنى أن يكون هكذا للأبد.

رغم أنها الرسالة الثانية من لورا له إلا أنه شعر بشيء من الحب اتجاهها ، لا يعرف كيف حدث ذلك من ثاني رسالة فقط ولكنه أحبها ، كان أصدق شيء فيه هو الحب ، وهكذا يظل الحب هو الشعور الأصدق حتى لو لم يصدقه الآخرون.

سام يعتقد بأن هذه الرسائل بكلماتها تزيد حبه لها وتؤكده ، أي رسائل ورقية جميلة جدًا حتى لو كان مكتوب فيها الإسم فقط ، هكذا الكلمات لها سحرها الخاص... لها كاريزما.

كان الليل قد أغرقه وهو مازال يقرأ الرسالة ويتخيلها كما وصفها ونسي نفسه والوقت ، حتى أيقظته عيناه التي أرهقها وكادت تسُحب للداخل كالسلحفاة ، وفجأة استلقى على سريره مبتسمًا وأغمض عيناه البُنيتان ونسي كتابة الرسالة.

بدأ سام في كتابة الرسالة إلي لورا وكان يريد أن يخبرها بشعور الحب

الذي يكمن بداخله وينتشر في أرجاء جسده ، من عقله مروراً بقلبه حتى وريد قدمه ، ولكن تراجع عن ذلك وقرر أن يأجله لوقت آخر حتى لا تظن بأنه شخصٌ غريب.

كتب سام التالي:

" لورا ، بالتأكيد أنتي جميلةٌ كإسمك الذي يظل على شفتاي ولساني اليوم بأكمله حتى أثناء نومي ، يكفي أن عيناكِ تشبهان عيناي ، بُنيتان جميلتان .

بالنسبة لي ، أنا متوسط الطول ، ووجهي دائري بعض الشيء ، وأكاد أكون جميلًا ، ولك أن تتخيلي ، أوه ، لقد نسيت ، وجسمي نحيل -ليس كثيراً- وممتلئ بالحزَن.

وهل تسمحين بأن أناديكِ بعزيزتي ، لأني أحب هذه الكلمة ، وأنكِ لعزيزة حقًا. "

ذهب سام مسرعًا لوضع هذه الرسالة في مكانها لأنه تأخر هذا اليوم ونسى بأمرها ، كان يعتقد بأن الرسالة ستطير لنفس المكان من كثرة ما حفظته ، أحمق.

عندما وصل للمكان وجد الفتاة صاحبة المفتاح مرةً أخرى ، نظرا لبعضهما البعض وابتسما ، وانتظر حتى رحلت ، ثم وضع الرسالة في مكانها ورجع للمقعد ينتظر الغروب.

بعد دقائق رجعت الفتاة ورآها ، خاف أن تجد الرسالة وتأخذها فناداها

بتردد حتى أتت له ، وحاول أن يتحدث معها.

قال " هل تسمحين بالجلوس هنا قليلاً ؟ "

ردت عليه " بالتأكيد سأنتظر الغروب اليوم. "

جلست بجانبه وعمّ الصمت بضع لحظات ، حتى تغلبت هي على الصمت وقالت ؛ " ما الذي يجعلك تشاهد لحظة الغروب هذه كل يوم ، ماذا يجذبك ؟"

رد قائلًا " إنه منظر جميل جدًا ، لكنني أشعر -أثنائه- بشيء أو شخصٌ يدخلني ويأخذ يتجوّل ، من حزن لحزن ومن فكرة لفكرة ومن العقل للقلب ، يعرف كل ما بداخلي ويرحل ولكنه يترك بعض الطمأنينة ، أظن بأنه يترك أثر من الله لي. "

اندهشت مما قاله ونظرت إلى عينيه حتى كادت عيناهما تتبدل ، ثم قالت ؛ " هذا أجمل شيء سمعته ، إنك تستعمل عبارات جيدة وجميلة في الوصف. "

صمت مندهشًا مما قالته ، لقد قالت نفس العبارة التي كانت بالرسالة الثانية من لورا ، هل هي لورا ؟ ، إنها تجلس هنا وتحب الغروب مثلها وفي نفس المكان الذي فيه الرسائل ، هل كانت تبحث حقًا عن المفتاح أم عن الرسالة التي كتبتها ؟.

نظر لها وكان ع وشك أن يسألها عن اسمها ، لكن رن هاتفها فصمت هو ، ردّت ، ثم قالت له وهي تتحدث ؛

" أنا سأرحل هذا والدي ، سعدت بمقابلتك ، إلى اللقاء. "

ذهبت وظلّ يراقبها وهي تمشي خوفًا من أن ترى الرسالة أو تكون هي لورا حقًا ، ولكنها انشغلت في مكالمة والدها ورحلت مباشرةً.

هل حقًا ستكون هي ، لا ، لا يجب أن تكون هي ، هكذا لن سيكون لهذه الرسائل معنى إذا كانت هي.

قرر أن يعود لبيته وألقى نظرة على الرسالة فوجدها مكانها ، وأكمل سيره عائداً للبيته.

بدأ التفكير يشعل حربًا داخل عقلة ثانيةً ، تساؤلات وأفكار أفكارٍ وتساؤلات ، حربٌ لانهائية بينهم ، حتى وقع سام في فخ الاكتئابً.

***

رسالةٌ من لورا

" سام ، لك أن تناديني بعزيزتي ، بشرط أن استبدل سام بعزيزي ، أظن بأنك ستوافق لأنك تحبها مثلي ، نعم أنا أحب هاتين الكلمتين.

أخبرني يا عزيزي ، لماذا أنت ممتلئ بالحزن ومن ماذا ، أنا أعلم أن هناك الكثير من الأشياء في هذا العالم تجعلنا بؤساء ومتشائمين ، لكن أريد أعرف من ماذا بالتأكيد ، كلٌ له حزنه.. يا عزيزي.

وقبل أن تكتب لي شيء بخصوص حزنك ، اعلم أننا من المؤكد أن نحزن في حياتنا ، لذا كن فخوراً بحزنك وألمك وتأكدَ بأن هناك سعادةً يومًا ما لك آتية.

عزيزي كما قلت لك من قبل ، أريد أن أدخلك للحظات حتى أعرفك جيداً. "

رسالةٌ من سام

" عزيزتي لورا ، معكِ كل الحق ، كلٌ له حزنه ، ذلك الحزن الذي لا يعلمه سواه ويشعر به كثيراً..

تخيلي ، أنا حزين بسبب وجود العالم من الأساس ، حزن غريب أليس كذلك ؟! ، مهما كتبتُ لكِ من كلماتٍ لن تعرفي مدى تعبي من العالم ومن نفسي ومن الناس ومن العلاقات

الزائفة بينهم ومن المجاملات الحمقاء ومن جهلهم بالشيء الذي يظنون بأنهم يعرفونه تمام المعرفة ، متعبٌ من الكثير يا عزيزتي ، ليتكِ تدرين وتفهمين كل هذا ، ليتكِ لم تكوني في عالم كهذا.

الإنسان هو أتفه شيء على هذه الأرض يا عزيزتي ، نحن لسنا من هنا ، نحن ننتمي لمكان آخر يليق بنا تمامًا ، لكن هذا العالم هو جحيم مُصغر ، هذا عالمٌ لم ننتمي له قط.

أنا متمرد على من حولي لورا ، البيت الذي أعيش فيه يشعرني بالوحدة ، البيت الذي يجب أن يكون مأمني ، هو سر قلقي لو تعلمين. "

رسالة من لورا

"عزيزي ، لقد أحزنتني حقًا ، أول مرةً في حياتي أشعر هكذا ، ليست شفقة طبعًا ولا أحب شعور الشفقة أساسًا...

"ما بك هو بسبب وعيك الزائد يا عزيزي ، إنك بائسٌ جدًا ومتشائم وتنظر إلي الجانب المظلم من القمر ، أنت من تقرر أن ترى ما تريد أن تراه ، وهذه ليست مواساة بل هذا ما مررت به..

سأخبرك بشيء صغير ، مثلًا أنت الآن تنظر إلى شجرة كبيرة ، الناس يرونها شجرة عادية وتعطيهم الأكسجين ومنظر جميل وظل ، وأنت تراها عائق كبير

في الشارع وتثرثر بها العصافير مبكراً لتوقظك..

هكذا الحياة ، لها جانبين إما أن تكون متقبلًا لها هكذا وشكوراً أو أن تكون متشائمًا ومتمردًا وكفوراً بها ... لك أن تختار فحسب. "

رسالة من سام

"أتعلمين بأنك مريحةً ! ، أتعلمين بأني اقرأ رسائلك أكثر من مرة ! ، أتعلمين بأنكِ أصبحتِ فجوةٌ في حياتي تّفر منها وحدتي ! ، لا أظن بأنكِ تعلمين..

كلماتك طمأنينةٌ تسكنني لورا ، أنتِ مريحةٌ بشكل كارثي..

عزيزتيَ ، لقد تأكدت بأن ما يجعلنا في عالم آخر أو بمعنى آخر يجعل هذا العالم محتملاً هو الحب ، الحب هو ما يجعلنا نسكر ويجعلنا قادرين على مواجهة هذا العالم ، الحب يجعلنا نواجه حزننا وكآبتنا وبؤسنا ، هو السلاح الذي نملكه دائمًا .. كالسحر.

كل ما يريده المرء هو نفسٌ يسكن إليها ويحيى بها ويعيش فيها ويواجه بها وحشة العالم ، نفسًا تجعله يستفرغ كل ما بداخله من شوائب العالم ومن فيه.

الحب هو الذي ينجينا دائمًا يا عزيزتي. "

***

استمرت المراسلة بينهم لمدة طويلة جدًا ، وكان سام يكتم في كل رسالةٌ حبه لها ، نعم ، لقد وقع في حبها ، ومن لا يقع في حب مجنونةٍ كهذه .

كانت الرسائل السابقة هي البداية لهم ، كان كلًا منهما سعيدًا بالأخر ، وكانت لورا تجعله يشعر كأنه دعاءٌ مستجاب ، وهي تشعر معه بأنها تملك العالم بين يديها.

ولكن بالنسبة لسام كانت سعادته ممزوجة ببعضٍ من القلق والحيرة مما كانت تجعل سعادته ناقصة ، كان يعتقد أنها هي تلكً الفتاة صاحبة المفتاح الضائع ، التي يراها كل يوم حين يذهب لوضع الرسالة في مكانها أو لأخذها ، لكن لم تسنح له الفرصة بأن يسألها على اسمها ، لم يكن يريد أن يقضي على هذه السعادة بكلتا يديه.

وهكذا ظل طوال المدة الطويلة ، خائفًا من أن يسأل الفتاة صاحبة المفتاح ومن لورا ، لطالما كنا نخاف من الحقيقة ، كم نحن جبناء.

بدأ سام يشعر بنفسه تدريجيًا بسبب حبه لعزيزته لورا ، مزيج من المشاعر الجميلة التي لا يرغب الإنسان أن يخرج منها ، كأن روحه قد تكوّرت داخل قلبه.

كان على أتم الاستعداد ليخبرها بُحبه لها ، ولكنه كان كالمعتاد يتخبط كذبابةٍ على نافذة الأسئلة..

هل ستبادلني نفس الشعور ؟ ، هل سترفض ؟ ، ماذا سأفعل إذا رفضت ؟ ، هل إذا أخبرتها لن ترسل لي شيئًا وأعود خائبًا لوحدتي ؟ ، هل حبي لها سيبعدها عني ؟ ، هل انتظر ولا أخبرها الآن ؟ ، هل الانتظار سيقوم بمهمته معي..؟!

ولكن بعد هذا كله سيخبرها ، أحيانًا نحن من نضخّم كل شيء صغير حتى يستحوذ على عقلنا تمامًا ويجعلنا عاجزين عن التفكير بشيء آخر ، يغزو عقلنا.

حتى الآن ، المرء يستخدم كل شيء بطريقة صحيحة وبحذر إلا عقله.

سام لديه ثانتوفوبيا زائدة ، وأي شخص بالتأكيد لديه نفس هذا المرض ، وبالمناسبة

الثانتوفوبيا هي مرض نفسي يُعني الخوف من فقدان من تحب ، كلنا نخاف من فقدان أحدهم مهما كان ، سواء من عائلتنا أوَ أصدقائنا أو أحبائنا.

بالتأكيد كلنا سنصبح مفقودين وفاقدين يومًا ما ، ولكن علينا أن نجمّل هذا الفقد بالحب.

كل ما يريده سام هو مخرجٌ من وحدته أو فجوة تخرجه من هذا العالم ، وكانت لورا هي المخرج والفجوة ، كان يحتاجها بشدة ، ولا يعرف إذا كانت

تعلم بذلك أم لا.

لقد أحبّ سام لورا حقًا كما لو أنه عرف الحب عن طريقها ، وكانت لورا معه تتحدث عن الحب كثيراً مثله ، كأمٍ تبحث عن ابنها التائه بين حشدٌ من الغرباء.

كانا الإثنين يبحثان عن حب يلجئان له ويكون ملاذهما من بشاعة العالم ، لم يدركوا بأن الحب كانَ يَخلق بينهما حينها.

علينا جميعًا أن نؤمن بالحب ، ونؤمن بأنه يُشفي ويُنجي ويُسحر ويُرمم كل شيء بنا وبيننا ، الحب هو تقيؤ لبشاعة ووحشة العالم.

قد نرى البعض يكون معارض للحب ، ولكن إذا نظر بداخله عميقًا سيجد بأنه يحتاجه من الذين يحيطون به ، لذلك فكل إنسان قد يحتاج جزءاً منه – ولو حتى خلية في جسده – إلى الحب.

لايزال سام في حيرة من أمره حول الفتاة ولورا ، وحول الإفصاح عن حبه لها ، كان عندما يفكر بهذاً الأمر يشمئز من نفسه وعقله الذي يفكر بهذه الطريقة البشعة والغير محتملة.

كان يقع في نوبة حزن كبيرة رغم الرسائل التي ترسلها لورا ، كانت الرسائل تخفف من وطأة حزنه وكآبته قليلاً لذلك كان يقرئها أكثر من مرةٍ علّه ينسى في مرة حزنه وكآبته ونفسه.

سام يحب التفاصيل جداً ويفكر بها بطريقة غريبة ، بمعنى أنه إذا نظر مثلًا إلى الكرسي الذي بغرفته ّفكر في الشجرة التي قُطع منها ، والرجل الذي قام بقطع الشجرة ، والسيارة التي أوصلت القطع للمصنع ، وما حدث للقطع في هذا المصنع وهكذا ، أظن أن نادراً من يفكر مثله ، هذا تفكير جحيمي حقًا ويأكل من الوقت ساعات كثيرة ولا نشعر بالوقت.

آه ، الوقت ، كم هو أحمق الوقت الذي لا يتوقف لشيء ، لا يتوقف إذا مات أحدهم ولا يتوقف إذا انكسر قلب أحد ، لا يتوقف حتى لينظر إلى ما فعله بنا.

***

قرر سام بعد تفكير عميق وكثير أن يخبر لورا بأنه يحبها ، وبالتأكيد سيتحمل النتيجة سواء باتت بالقبول أو الرفض ، ولكن ستكون أيضًا لهذه النتيجة نتائج أخرى.

فكّر كثيراً حول الطريقة التي سيخبرها بها ، وأخذ يختار كلمةٌ كلمة وبإنتقاءٍ شديد لدرجة أن كل كلمة كانت تأكل من قلبهُ وحبه لها.

وهو جالسًا ينتقي كلماته ، أتت الفتاة صاحبة المفتاح في ذهنه وتذكّر ابتسامتها الجميلة وعيناها التي إذا نظر إليهما أحد أراد أن يقتلعهما لروعتهما.

بعد ذلك قرر إنه سوف يسأل الفتاة عن اسمها وإذا كانت لورا هي هذه الفتاة سيتراجع عن إخبارها بذلك لأنها بالتأكيد سترفض.

داخل غرفته ، أخذ يتمشى فيها ، من هنا إلى هناك ، من كثرة تفكيره كاد عقله يخرج منه ويتمشى بجانبه كظلّه...

منذ أن رماه القدر في طريق لورا وهو يشعر بأنه ليس بخير ، وبأن شيئًا غريبًا يحدث في حياته ، ولا يعرف إذا كان بسبب لورا أم شيءٌ آخر غامض .

رسالة من سام

"عزيزتي لورا ، أريد إخبارك بشيء ، وأحتاج منكِ أن تقرئي هذه الكلمات بصدرٍ رحب وقلب غارق في محيط الحب..

لقد وقعتَ في حُبك عزيزتي ، كورقة تتطاير في السماء حتى تستقر على أرضٍ آمنه ومستقرة -كقلبك- ، كعصفورٍ يحط على شجرةٍ غصنها لا يميل ولا يهزه ريح..

أنت الآن تملئينني حد التخمة ، أنا ممتلئٌ بك ، أراك تسكنينَ بداخلي ، أنتِ الآن صرتي ضوئي في هذه الحياة وبكِ أصبحتَ أضوءَ من الشمس.

أتمنى أن يكون بداخلك ولو ذرة من نفس هذا الشعور الذي يعتريني في كل الأوقات ، أريد أن أعرفَ صراحةً إذا كنت تحبينني حقًا وستقبلين أم إنكِ سترفضين هذه الفوضى الممزوجة بالراحة والتعَب في آنٍ واحد. "

كتب سام الرسالة ، وشعر بأن قلبه من كتب كل هذا وبأنه لم يتفوه بأيّ كلمةً من كلمات هذه الرسالة ، كان قلبه يكتب من فرط حُبه لها.

جهزّ الرسالة وارتدى ملابسه وخرج ليضع الرسالة في مكانها ، وهو في طريقه كانت يديه ترتعش ونبضات قلبه تكاد تفتته ، كان قلقًا وخائفًا ومترددًا ، كانت المشاعر تهجم عليه دفعةٌ واحدة.

وصل إلى هناك ولم يجد الفتاة ، لم يكن هناك أيّ أحد ، انتظر كثيرًا لعل

الفتاة تأتي ، ولكن أصبح انتظاره عبثًا.

انتابته الكثير من الحيرة ، هل يضع الرسالة أم يرجع بها لبيته حتى يسأل الفتاة عن اسمها ، لا يعرف ماذا يفعل ، يخاف من شيء اسمه الندم.

يخاف أن يأكله الندم من أيّ فعل يقوم به ، لذلك يفعل كما يفعل كل مرةٍ ، ينتظر حتى

يوقعه التفكير في فخ الاكتئاب حتى يكون لامباليًا ولا يهتم بأي شيء ويتحوّل إلىشخص لا يعرفه ويريده.

وبعد هذا الصراع الطويل ، قرر سام أن يترك الرسالة ، لأنه لن يستطيع على قلبه صبراً.

عاد لبيته وهو قلقٌ جدًا وخائف من الشيء الذي يسمى الندم ، يكره سام نفسه حقًا حينما يكون في مثل هذه الحالة ، يشعر بأن هناك شخصًا آخر بداخله ، يهينه ويخبره بأنه بلا فائدة ولا أحد يحبه يجعله يأكل أصابعه من فرط الندم.

مرَّ اليوم الأول والثاني ثم الثالث ، لم ترسل لورا أيّ شيء له ، أصبح مُضطربًا وظنّ بأن اخبارها والإفصاح لها عن حُبه كانت فكرةٌ سيئة من البداية ، كان خلال الأيام الثلاثة هذه شخصٌ آخر كليًا ، شخصٌ لا يوّد المرء أن يكونه ولو للحظةٍ.

أصبح سام مكتئبًا كأول مرةٍ ولم يكن يحتمل نفسه ، كانت لورا بالنسبة له مخرج من كآبته ومدخلًا لعالم آخر أكثر أمانًا وطمأنينةً ، كانت هي وحدها عالمه الخاص...

حينها شعر ولأول مرةٍ بأن هناك شخصين داخل رأسه يتنازعان على شيء ليس له وجود ، كان يريد أن يوقفهما بأي طريقة ، رصاصة لخلق فتحةً بمنتصف رأسه ليخرجا منها أو القفز من مبنى علّهم يطيروا مع الهواء.

لكن الغريب بين هذه المعاناة كلها ، كان يهمس بداخله صوتًا يجعله يتراجع وينسى ما يحدث ، صوتٌ يريد أن يريحه ، لا يعرف ما يقول ولكنه مُريح جدًا...

كان هذا صوت إيمانه بأن الله سوف يحدث أمرًا حتي ولو بعد حين ، رغم ما يمر به سام من ضيق وحزن وسوء حظٍ إلا أنه يؤمن بالمعجزات ، حينها تذكر الرجل الذي قال له بأن الله أقرب من مخاوفك ، وهو كذلك.

أخذ سام يذهب كل يوم إلى مكان الرسالة علّه يجدها يومًا ، كان متشبثً بأملٍ من الله ، كان يعرف بأن الله يعلم بما فيه وبما يريده ، لم تكن لورا تخرج من عقله حتى وهو يكتب.

خلال هذه الأيام كتب كثيرًا في مذكراته ليحتمل نفسه والحياة وغياب لورا ، كانت الكتابة بالنسبة له سلاحٌ يدافع به عن نفسه.

كتب مرةً محدثًا.. " أنت في هذه الدنيا غلطة ، لقد أتيت بالخطأ ، أنا لا أحبكَ ولا أريدكَ ، أكرهكَ حين تريد شيئًا ولا تصبر عليه حتى يأتيك ، سأقتلك يومًا رغم أني أعلم أن هذا سيكلفني حياتي ولكني سأقتلك ، لا أريدكَ بداخلي بعد الآن. "

كان سام غاضبًا على نفسه حينها ولديه رغبةً بالإنتحار وإنهاء هذه المأساة ، ولكن كان متأكدًا بأنه سوف يحدث شيئًا ما يقلب الطاولة.

أحيانًا التمسك بالآمال يدمرنا تمامًا ويؤدي بنا إلى مسار ليس له نهاية ، ويجلعنا نوقِن بأن جميع الآمال ما هي إلا محض سراب ، ولكن حين نضيف للآمال شيءٌ من الإيمان يتحول لحقيقة .. بل لمعجزة.

الأوهام -أحيانًا- تجعلنا نتحمل الحياة وتجملها ولكن الإفراط بها يؤذي ، أحيانًا نصدق الكذب رغم علِمنا به خوفًا من الحقيقة ، نحن حُمقاء جدًا نخاف من الحقيقة.

ذات يوم من الأيام التي لا يحتمل سام فيها نفسه ، خرج وهو متمسكًا بأمله كالمعتاد ، كان يوم مريح له أو أن هذا نتيجة اعتياده على كل هذه المعاناة التي تأكله.

ذهب لنفس المكان الذي يُوضع فيه الرسائل ، واندهش وتعجب من وجود رسالة أخرى ، لم يظن أبدًا بأن هذا قد يحدث له وبهذه الطريقة ، وقف متسمرًا في

مكانه كأنه أصبح مشلولًا لدقائق ، ثم أخذها بلهفةٍ وشغف ورجِع إلى بيته مسرورًا.

وهو في طريقه لبيته كان يفكر كثيرًا حول رد فعلها ، كانت الكثير من المشاعر تنتابه في آنٍ واحد ولا يعرف هل يفرح أم يحزن ، هل وافقت أم رفضت ؟

دخل بيته مسرعًا وقفز بداخل غرفته مباشرةً ، بدأ بفتح الرسالة ، وهو يفتحها شمّ نفس الرائحة حين فتح رسالة لورا الأولى ، ولكن هذه المرة كانت الرائحة قوية جدًا وكثيرة كأنها أفرغت الزجاجة داخلها.

كان متوترًا جدًا وخائفًا من رسالتها ، هل لهذه الدرجة الكلمات تُرعبنا ؟

فتح الظرف ووجد ورقتان ، ورقةٌ صغيرة وأخرى كبيرة ، لم يعرف يفتح أيهما أولًا ، ثم اختار الكبيرة ، وفتحها ثم أغمض عينه وشعر بنبضات قلبه تكاد تُخرج قلبه من صدره.

أخذ يغمض عينيه ويفتحها لأنه خائفًا حتى هدأ واستقر قلبه في مكانه ، ثم وقعت عيناه على كلمات الرسالة وبدأ يقرأ..

رسالةٌ من لورا

" عزيزي سام ، صدقًا لم أكن أعلم بماذا أُجيب عليكَ ، لقد كنت أقرأ رسالتك طول اليوم ولم أمِل منها أبدًا ، لقد أسعدتني جدًا بها..

أتعلم يا عزيزي ، معك وحدك عادت أيامي لتزهر من جديد كوردة عباد الشمس ، معك وحدك كنت أعيش بإنسيابيّة ، معك عدت لكتابة الرسائل الورقية وشعرت بأني أعيش في زمان ليس بزماننا هذا ، معك كانت السماء زرقاء صافية ، والأرض حقلٌ واسع نركض فيها دون تعب ، معك لم أشعر كيف مرّت الأيام بهذه الخفّة ، ومعك وحدك أدركت لأول مرةٍ أن الحب يولد كبيرًا ... ويظل يكبر.

أنا ايضًا أحبك يا عزيزي سام ، أنا حقًا أحببتك ، رغم أني لم أراك أو أعرفك جيدًا ، لكن كلماتك كانت صادقة جدًا ، كنت أشعر بذلك حقًا. "

وهذه كانت الورقة الكبيرة التي جعلته يشعر بأنه نجح في صُنع العالم الخاص به ، أما الورقة الأخرى –الصغيرة– كانت رسالة اعتذار.

رسالة الإعتذار من لورا

" عزيزي سام ، آسفة على تأخر هذه الرسالة ، حين قرأت رسالتك بكيت كثيرًا ، بكيت أيامي التي أضعتها بجوار الحزن والكآبة ، بكيت كل شيء بداخلي ، كأنني أنفض الغبار الذي يملأني ، لأقدمني لك ، لك وحدك..

كانت هذه رسالة اعتذار صغيرة على تأخري ، وآسفة مرةً أخرى يا عزيزي.

أكمل الورقة الثانية لتطمئن.. "

كان من المفترض أن يقرأ سام الورقة الصغيرة أولًا لإنها بمثابة إعتذار له ، ولكنه لم يكن يعلم بهذا الأمر ، فقرأ الورقة الكبيرة ، ولكنه قرأ الورقتان مرة أخرى وبنفس الشغف واللهفة ، اطمئن قلبه وهدأ عقله ، الكآبة بداخله تتلاشى وترحل معها أفكارها السوداوية والإنتحارية ، والحزن يذهب بعيدًا وحده للجحيم ، ليكون هناك مكان كبير يسع هذا الحب بداخله.

قام سام سريعًا وأحضر ورقة وقلم ، وبدأ يكتب لها من جديد ، كان ضائعًا بدونها وها قد وجد نفسه..

رسالة من سام

" عزيزتي لورا ، لا أستطيع وصف مدى سعادتي بكِ الآن ، لقد كنت تائهًا جدًا الأيام الماضية لعدم وجودكِ ، لكنني كنت أحتفظُ بكِ فيَّ.

أتعلمين لقد قرأت الورقة الكبيرة أولًا وليس الصغيرة ، كنت مندهشًا جدًا وظننتكِ لن تكتبي لي شيئًا ، ولكن قرأتها مرة أخرى بالطريقة الصحيحة ، أنا حقًا سعيد جدًا لأنكِ هنا ، هنا في حياتي المظلمة التي أنتِ فيها نقطة النور.

أتمنى ألا تتأخر رسالاتكِ مجددًا ، لأني أحتاج كلماتكِ كالهواء الذي أتنفسه. "

كان قلب سام يدق سريعًا أثناء الكتابة حتي كاد يخرج منه ويُزيد كلماته وحبه، وهدأ تمامًا حين انتهى سام من الكتابة ، كان شعور رهيب وجميل.

أخذ سام الرسالة وخرج ليضعها في المكان المعتاد ، وهو يمشي كان يشعر بأنه يطير في السماء بين الغيوم الخفيفة والشمس الناعمة ، كان حزنه يتطاير منه ويختفي تدريجيًا.

وجد في طريقه ورد عباد الشمس ، فأخذ واحدة ووضعها بجانب الرسالة ، أحس بأنه الوردة ولورا هي شمسه.

وهكذا بدأ سام حياة جديدة وكأنه وُلدَ مرة أخرى وبقلبٍ جديد ، وهكذا هو الحب يجعلك تشعر بأنك شخص جديد ويُزيد شعورك بأنك موجود في قلب أحدهم ، وفي قلب العالم.

لطالما كان سام على ثقة بأنه سيجد مخرجًا من هذا العالم وها قد وجد أخيرًا لورا ، ستكون له مخرجًا وملاذ وعالم آخر ، ستكون شمسه ونوره ، ستكون عينيه.

هكذا يجب أن يكون الحب بين أيّ شخصين في العالم ، أن يكون ملاذًا آمنًا وليس ساحة حرب ، الحب هو الشعور الأسمى بين البشر ، الشعور الذي يصلح كل شيء بينهم ويرمم.

نحن الذين نُسيء استخدام الحب -كما نفعل بالكثير من الأشياء- ، كمن يستخدم شوكةً لقتل أسد ، أصبحنا لا نقدّر الحب ، بات الحب يُستخدم في الشر الآن لدرجة أن لا أحد يصدقه رغم أنه الشعور الأصدق على الإطلاق ، كم نحن مُترفين !

سام ولورا ، كانت هذه بدايتهما وتعارفهما ووقوعهما في الحب ، كانا كلًا منهما يفهم الآخر وكأنهما يسكنان بعضهما ، كان حبهما عتيق وجميل جدًا ، أحبا الحياة من جديد كأنهم قدموا لقلبيهما وجبة حياة جديدة.

كانا الاثنين معًا كمصباح وضوئه ، حتى لو كان المصباح منطفئ فهو يحمل ضوئه بداخله وكذلك هما ، كأنه منزلٌ وهي جدرانه.

***

ظلّ سام ولورا يتراسلان لمدة طويلة ، يعرفان ما بهما من حزن ومن ثم يقتلونه بحبهما ، كان حبًا عظيمًا يولد بينهما ويكبر ، كان حب يحتاجه كلًا منهما.

وخلال هذه الفترة ، لم يرى سام الفتاة صاحبة المفتاح رغم أنه كان يذهب هناك كل يوم ، وبدأ يعتقد بأنها هي لورا.

ولكن بعد فترة قصيرة من اعتقاده هذا ، وهو ذاهب ليضع الرسالة ، رآها.

أصبح مضطربًا وقلقًا بعض الشيء ، لم يكن يعرف هل يسألها أم لا ، رغم أنه يريد بشدة أن يعرف لم يكن يريد بنفس الشدة أن يخرب شغف وروعة الرسائل.

فقرر سريعًا أن يذهب إليها يعرف اسمها ، وضع الرسالة مكانها دون أن تراه وذهب إليها ، كان قلبه يدفعه لها ليطمئن ويهدئ من روعه.

عندما وصل إليها كانت تتحدث بهاتفها ، ابتسم لها ابتسمت وجلس بجانبها، كانت تتحدث بهدوء كأنها داخل مسجد أو كنيسة ، كان هدوئها مثل نسمة ريح في وقت الفجر.

أخذت مدة طويلة تتحدث وقد ملّ سام من الجلوس بجانبها ، فأشار لها بيده وقال بأنه يريد أن يتحدث قليلًا معها لأنه ذاهب ، ثم أشارت له " لحظة" ، وقامت تمشي حوله تتكلم ، ثم انتهت من المكالمة وتأسفت له لتأخيرها.

قال لها سام : آسف على مقاطعتك ، ولكن أريد أن أطرح عليكِ سؤالًا ، هل تسمحين ؟

ردت عليه : لا حاجة للأسف ، تفضل بسؤالك..

سألها : رأيتكِ كثيرًا هنا وتحدثنا قليلًا ولم أعرف اسمكِ ، فما اسمكِ ؟

ردت : أتمزح ؟! هل هذا هو السؤال حقًا ؟

وبدأت تضحك بصوتٍ عالٍ قليلًا ، وهو ينظر لها ولابتسامتها حتى كاد يتحول لتمثال بجانبها لروعة ضحكتها ، كانت حين تضحك تضع يديها على فمها وتضيق عيناها وتلمعانِ كاللؤلؤ.

أكمل سام قائلًا : ماذا ؟ هل السؤال مضحك أم أنه يضحككِ ؟ هيا قولي لي اسمكِ..

انتهت من ضحكتها الجميلة وردت مبتسمة : حسنًا ، سأخبرك..

لم تُكمل ونظرت له وانفجرت من الضحك مرةً أخرى ، كان هو يستمتع بضحكتها الجميلة ، وكانت هي تضحك من قلبها حقًا.

نظر لها مبتسمًا وقال : يا إلهي ، هل سأنتظر مجددًا حتى تُنهين هذا الضحك ؟!

ردت عليه : آسفة حقًا سأخبرك ، اسمي هو "سيلين" ، واسكن بالقرب من هنا.

اطمأن هو وقلبه ، وهكذا ستظل الرسائل بينه وبين لورا جميلة ومحتفظة بشغفها وروعتها ، ولن يكون هناك أيّ اضطراب ولا قلق حيال هذا الأمر.

قال لها : سيلين ، هذا اسمٌ جميل حقًا ، شكرًا لكِ ، أكملي مكالمتك إذا أردتِ، سأذهب لأني تأخرت.

ردت سيلين مبتسمة : انتظر ، أنا لم أعرف اسمك ، ما هو ؟

أجاب سام بابتسامة : أنا اسمي سام ، ولن أضحكَ مثلكِ لأن ضحكتكِ أجمل وأروع من ضحكتي بالتأكيد.

ضحكت سيلين مرةً أخرى ولكن بخجلٍ حتى احمرّ وجهها ، كان سام قاصدًا بأن يضحكها حتى يراها ضاحكة ، كان ينظر لها كأنه ينظر للسماء وكانت ضحكتها هي نجومها.

سام مبتسمًا : إلى اللقاء.

سيلين بخجلٍ : إلى اللقاء.

قرر سام العودة إلي البيت ، وهو في طريقه ، نظر إلى مكان الرسالة فلم يجدها، تفاجأ سام وعرف بأن لورا قد أتت هنا حين كان يتحدث مع سيلين.

لقد كانت بالقرب منه ، ورغم عدم وجودها حينها إلا أنه أحسّ بوجودها وكأنها أمامه.

اشترى سام كتاب جديد ليقرأه ومن ثم يكتب فيه يومياته ومذكراته وحبه مع لورا ، نعم ، لقد كان يكتب بين صفحات الكتب التي يشتريها ، في أعلى الصفحة أو أسفلها أو على جوانبها ، أراد أن يكتب كل ما يحدث بينهما ، وكل ما يشعر به.

كانت هذه عادته حين يشتري كتابًا جديدًا ، ينتهي من قراءته ثم يكتب بين صفحاته ما يشعر به ، كان هذا الأمر يخفف عليه قليلًا لأنه كان يشعر بكلماته التي يكتبها تندمج مع كلمات الكتاب ، فتنساه.

كان يكتب جمل قصيرة وخربشة وبعض التساؤلات فقط ، أما النصوص كان يكتبها في مذكرة صغيرة لديه ، وكانت كتاباته قبل لورا كئيبة جدًا وكان يميل دائمًا للانتحار ، وهذا بعضًا مما كتب...

" السعادة هي عملةٌ نادرة في بنك الحياة. / إننا جميعًا نملك مرآة بداخلنا. / هل هناك شيءٌ اسمه الحب ، إذًا لماذا -بعد فترة- نكره الذين أحببناهم ؟ / ليتنا نفهم بعضنا البعض حتى لا نكون متعبين من الشرح. / هناك جحيم في الآخرة ، إذًا لماذا نذوق بعضًا منه على الأرض؟ / أريد أن أكون هواء.

الجميع يريد أن ينسى وأن يُذكر. / لماذا يجب على الإنسان أن يفنى ؟ / الألم والخوف والحب يجعلانك في مأزق مع ذاتك. / روحكَ نقية وبين يديك متسخ. / قلبٌ معطوب لن يدخله ذرة حب ، غبار فقط. "

هذا ما كتبه في كتابٍ ما قرأه ، ولكن بعد أن وقع في حب لورا ، قد تغيّر كل شيء.

بدأ سام في قراءة الكتاب ، وخلال يومين أنهاه وبدأ بكتابة ما يحلو له عن نفسه ولورا وحبها ، وهذا قليلٌ مما كتب...

" الحب هو مخرج طوارئ حين يحترق العالم. / الكآبة تخاف من الحب رغم أنه لا علاقة بينهما. / علينا أن نكون قادرين على الحب حتى ولو كنا في القاع. / هي عالم سري. / الحياة يجب أن يكون لها معنى وهي معناها. / هناك أشياء لا يمكن وصف جمالها مثل المطر ، الغيوم الخفيفة ، الورود مختلفة الألوان ، القمر ونجومه ، ولورا. / الحب استراحة من التعب ومعاهدة سلام للحروب الداخلية. "

واضحًا من كلمات سام أنه قد وقع تمامًا في حب لورا وأصبح لا يحتمل مفارقتها ولا يستطيع مجرد التفكير في ذلك ، غير موجود الافتراق بينهم من الأساس.

عندما يقع شخص في الحب يرى بأنه لا يُقهر ويستطيع أن يفعل أيّ شيء للطرف الآخر ، لكنه حين يقرر فعل شيء لا يستطيع ويظهر عكس ما توقع ، لقد أبرنا الكثير بأن الحب أعمى ولكننا لا نتعلم إلا حين نُخطئ.

استمرت علاقتهم طويلًا لم تكن كالعلاقات الحالية ، كانت حقيقية لأنها كانت جميلة ومتمردة على هذا الجيل ، كانت تولدّ حبًا صادقًا.

ما عاد القاع لهما ، وما عادت الحياة تكترث لهم ، كانا منعزلين كأنهم تم نسيانهم من قبل العالم.

***

رسالة من سام

" عزيزتي لورا أو حبيبتي...

عندما نظر إلى السماء وأرى النجوم أراكِ بينهم ، أجدكِ في الأشياء الجميلة والنقية ، في تحركان الماء ، نسمات الهواء ، وقت الغروب ، ضوء القمر ، رائحة ما بعد المطر ، الورود الحمراء التي تقع أمام منزلنا ، أجدكِ حين أفكر وأنا دائم التفكير.

أشعر أن بداخلي شخص آخر ، لا يفارق لسانه اسمك ، لورا .. لورا .. لورا .. لورا ، لا يصمت إلا حين أكتبُ لكِ أو عنكِ ، وبالمناسبة أنا أكتب عنكِ ، في كُتبي التي اشتريها ، أكتبكِ لتكوني خالدة ودائمة في الحياة كخلودكِ فيَّ ، في قلبي تحديدًا.

عزيزتي ، من باب الحوار أريد أن أعرف كيف تنظرين للموت ، وما هو مفهومه بالنسبة لكِ ؟

أتمنى ألا تتأخر رسالتكِ ... أحبكِ يا سمائي.

رسالة من لورا

" عزيزي سام...

تكتب بطريقةٍ تجعلني في حالة من التلاشي ، تلاشي من كل شيء أشعر

بأنني أُحلق عاليًا في السماء الملبدة بالغيوم ، وأشعر أيضًا بأنني كساحرٍ يمشي على الماء دون أن يسقط فيه.

عزيزي ، لقد استطعت أن تنقذني من أعماق الكآبة والحزن ، بالرغم من أننا كنا في نفس القاع ، لكننا استطعنا الهروب منه ، استطعنا ذلك بحبنا ، جاء الحب من العدم وأخرجنا معًا.

سأخبرك عن هذا الشيء الذي يسمى الموت..

الموت هو اكتشاف لعالم آخر أو بمعنى آخر هو انتقال ، كشخص يجبركَ على ترك مكانٍ لأنه سيُدمَر وهذا الشخص يعلم جيدًا بأنه سيُدمَر وعليك أن تصدق أو لا تصدق.

هكذا أنظر للموت ، لذلك لا أخاف منه ، ولأنه لا مفر منه ، كيف تخاف الناس من شيء لا مفر منه ، كأنك وقعت بين مجموعة من الأسود ، على يمينك ويسارك وأمامك وخلفك ، حتمًا لا مفر.

لا تخاف من الموت يا عزيزي ، الموت شيء هشّ جدًا ولكنه قيل له كُن فكان، فلا تخف.

أخبرني لماذا كنت تريد الانتحار ، وأتمنى أن لا يدخل قلبك ذرة حزن بسبب كلماتي هذه..

أحبكَ سام.

رسالة من سام

" عزيزتي لورا..

أتمنى لو كنتَ شيء تمتلكينه ، أيّ شيء ، خاتمكِ المفضل ، فستانكِ ، دولاب في غرفتكِ ، سريركِ ، نافذتكِ التي منها تنظرين للنجوم ، أو حتى ضوء مصباحكِ.

اطمئني عزيزتي لم تمسّ قلبي ذرة حزن كما تمنيتِ ، لأن ذرات حُبكِ تحوم حول قلبي وتحميه من أيّ حزن ضال ، وأنا لا أخاف من الموت حقًا ولكن أكرهه ، أكرهه لأنه يأخذ أشخاص تمنيت لو أنه ينساهم أو يُمحيهم من قائمته ، أتمنى أن يموت هذا الموت في يوم من الأيام.

الانتحار ، إنه صديقي المفضل ، توأم الموت ، ألجأ له إذا ضاق العالم بي ، كنت على وشك الانتحار حقًا ولكن القدر وضع في طريقي ، وأدركت بعدها أن الانتحار كان صديق سيء ، أظن أنه بدأ يكرهكِ لأنكِ أخذتِ بيدي بعيدًا عنه ، ولكنه إذا عرفكِ كما أعرفكِ أنا سيحبكِ ، حقًا سيحبكِ.

عزيزتي ، دونكِ سيعود الانتحار صديقي مرةً أخرى ... ولن اتركهُ هذه المرة.

أُحبكِ لورا.

هكذا كانت رسائلهم ، جميلة وعتيقة وخارجة من أعماقهم ، مثلهم تمامًا..

كانا يتحدثانِ عن كل شيء ، لم يتركا ولو مثقال ذرة من شيء إلا وتحدثوا عنه.

أراد سام أن يعرف كل شيء عنها وعرف ، أراد أن يعرف كيف تنظر للحياة وللأشياء وعرف.

بهذه الطريقة تُعاش الحياة ، شخصان يُحبان بعضهما ويريدان أن يواجها العالم، كل العالم..

من البداية كنا هكذا ، اثنان ، آدم وحواء ، كانا معًا في الجنة وحتى حين خرجا منها ، لذلك الحياة تُعاش مع شخص آخر فقط ، الحياة حين تراكَ وحيدًا تعبث معكَ.

لا تكن وحيدًا ، أُعثر على من تحتمل معه الحياة وبه أيضًا تخشاكَ الحياة ، جِد من يقوّيكَ ويجعلك دائم الانتصار في حروبك الداخلية.

***

كالعادة يكتب سام الرسالة إلى لورا ثم يخرج ليضعها في مكانها ، ويضع لها وردة بجانبها ويجلس قليلًا يشاهد الشمس وهي تغرُب ، أحيانًا كان يرى سيلين تنظر له وتبتسم دون أن يتحدثا.

وفي مرة من هذه المرات ، تملكته الشجاعة وقام ينادي عليها ، أتت له مبتسمة وجلست بجانبه..

قال سام مازحًا : لماذا لا تأتين هنا وتتكلمين بدلًا من هذه النظرات الحمقاء؟

ردت سيلين ضاحكةً : أنتظركَ لتناديني وتخبرني بذلك.

قال سام : أنتِ تمتلكين ابتسامةً كالسماء.

لم تُجب عليه سيلين ، وخجلت ، لم تكن تعرف بماذا تجيب ، كأن لسانها تم بلعه بالخطأ.

قال سام : تحدثي ، أين لسانكِ ؟

ردت : ألن تكفَ عن هذه السخرية ؟!

قال سام ضاحكًا : حسنًا سأكف ، ولكن تحدثي ولو قليلًا.

سألته سيلين : لماذا تأتي هنا كثيرًا ، بل كل يوم ، هل فقدت جزءًا منك هنا ؟!

تردد سام كثيرًا وفاجئه السؤال ، صمت قليلًا وفكر ، هل اخبرها أم لا ، لن يكون جيدًا اذا أخبرتها.

ثم رد سام قائلًا : إنني مثلكِ أُحب مشاهدة الغروب ، والجلوس هنا مريح ويشعرني بالاطمئنان.

قالت سيلين : أوه ، أخيرًا وجدت من يحب شيء مثلي ، إن المكان جميل حقًا ،

لأن ليس هناك كثير من الناس يأتون هنا ، أنا أحب العزلة إنها مفيدة.

قال سام بسخريةً : هل أرحل أو أتلاشى حتى تكون مفيدة أكثر ؟

ضحكت سيلين : لا لا ترحل أو تتلاشى ، أنت تجعل هذه العزلة مفيدة وجميلة أيضًا.

ابتسم سام وقال : يا إلهي ، أخيرًا وجدت سيلين لسانها.

ضحكت سيلين وقالت : من الواضح أن هذه السخرية لن تنتهي.

ضحكا معًا ثم رحلوا ، كلٌ يحمل سعادته في قلبه ، واتفقا على أن يروا بعضهم البعض في أيام محددة ، حتى يكون غروب الشمس وشروق السعادة.

كانت سيلين سعيدة معه ، وشعرت بأنها وجدت من يجمّل لها عزلتها ووحدتها.

كان سام حينها غارقًا في الحب من الأساس لأنه يحب لورا ، فكان يجب أن يشعر تجاه سيلين بالحب أيضًا ولكن حب طبيعي وليس وقوعًا ، كان يحب لورا حقًا.

كان سعيدًا مع سيلين ، لقد أحس بأن الحياة تركته يعيش سعيدًا بقية حياته ، ولكن قد تكون أيضًا جزءًا من خطة الحياة للعبث معه ، لا يثق سام بالحياة أبدًا.

استمر سام وسيلين يجلسون في مكانهم المعتاد ، يتحدثون عن كل شيء ، الحب ، الحياة ، الناس ، العمل ، القراءة ، الموسيقى ، الفن ، والكذب.

لم يخبرها سام أيّ شيء عن لورا وكذلك لم يخبر لورا عنها ، أخذت سيلين

تعرف كل شيء عنه بالتدريج كأنها تريد استكشاف عالم بأكمله وحدها وتبني لها بيتًا فيه إذا وجدته آمنًا.

عاد سام مرةً لبيته ، وجلس في غرفته ثم شعر بشيء من الاكتئاب ، كأنه اشتاق لشيء إعتاد عليه ، كان يعتقد سام بأن الحب سيجعل الاكتئاب يندثر ، إلا أنه لم يفعل.

وذلك يثبت أن الاكتئاب ليس له علاقة بالحب ، الاكتئاب هو جزء من الجسد وكلما شعرت به يعني أنه يتضخم في جسدك ، وأظن أن الحب كذلك ، لذا فالإنسان يتكون من حب واكتئاب.

إذا ازداد الاكتئاب لن تكون قادرًا على الحب ، بمعنى أن الاكتئاب إذا تضخم سيأخذ حيز من الحب ، وكذلك الحب إذا تضخم أكثر سيأخذ حيز من الاكتئاب ، ولكن عبثًا ، دائمًا يأخذ الاكتئاب الحيز لأنه هو ما يكون معنا دومًا حتى لو لم نحتاجه.

قرر سام أن يخبر لورا في الرسالة القادمة عن هذا الاكتئاب ، لا يوجد من يخبره بهذا إلا هي ، علّها تقول له سببًا –رغم عدم وجود سبب- لهذه الفوضى داخل عقله ، لا يريد أن يسقط بداخله مرةً أخرى ويحدث ما حدث من قبل.

يحب أن يحكي لها أشياء تحدث له حتى لو بلا معنى أو أهمية ، إذا جُرح إصبعه مثلًا ، يقول لها ثم تقول له سيشفى ، فيتأكد تمامًا أنه سيشفى لأنها قالت ذلك.

رسالة من سام

" عزيزتي أو حبيبتي لورا..

إنني دائم التفكير بكِ ، لا تغادرين كوكب عقلي أبدًا وكذلك قلبي ، تتنقلين بينهم بطريقة جميلة ، كطائر صغير يتنقل بين شجرتين فقط لا يعرف غيرهم.

عزيزتي لقد حدث شيء غبي اليوم ولم يعجبني ، لقد شعرت بالاكتئاب ، كنت وحيدًا لا أفعل شيء ثم أتى كضيف لا يُحتمل ولا يُطاق ولكنه يأتي ، لا أريد أن أعود للوراء وأكون ما كنت مجددًا ، إنني أتمسك بكِ كطفلٌ يخاف المرتفعات ، يتمسك بكِ واثقًا بأنكِ لن تتركيه.

أخبريني ماذا عليّ أن أفعل ، أخاف أن يأتيني مجددًا ، ألا يعلم هذا الاكتئاب اللعين بأنني وقعت في حُبك وبأنني تحت حمايتكِ ، قولي لي ماذا نفعل حياله ، كيف نقتله أو حتى نوقفه.

يجب أن نستريح قليلًا منه ، كيف نخبره بأننا قد تعبنا ولم نعد نريده ، كيف نخبره بأن هناك ملايين الأشياء والأشخاص الذين يعكرون مزاجنا ، كيف نخبره بأننا لا نحتمل أكثر ؟!

أحبكِ ، سام. "

رسالة من لورا

" عزيزي سام..

أنا أحبكَ جدًا ، أحب كلماتك هذه ، وأحب حين تكتب لي ولو حرفًا واحدًا ، لقد أمسيت مصدرًا لسعادتي ومنفذًا يبث لي النور وينير ما بداخلي من ظلام.

عزيزي ، إن الاكتئاب لا يترك الوحيدين ، عليكَ أن تفعل أيّ شيء حتى لو كان تافهًا ، حتى لا يتمكن منك هذا الوحش الصغير الذي يسمى الاكتئاب ، ولا تخق إذا أتاكَ انه يعبث معك فقط.

نحن حين يكون أحد أقربائنا سيسافر لمكان ما مثلًا ، فإننا نودّعه ونُكمل معه الساعات الأخيرة قبل رحيله ، كذلك هو الاكتئاب يأتيك ليودعك يا عزيزي.

لا تقلق من شيء عزيزي ، أنا معكَ دومًا وبجانبك ، وأتمنى أن أكون لكَ مخرجًا من كل ما هو سيء ومؤذي ، وأن أكون لكَ مصدرًا للطمأنينة التي تملأ قلبك.

حبيبتكَ لورا ، أحبكَ. "

قرأ سام رسالة لورا وهدِأَ قليلًا ، رغم أنه يعرف بأن كلامها بسيطًا وعاديًا إلا أنه اطمئن ، ولكن ليرتاح أكثر وتعُم الراحة قلبه خرج ليلًا لمكانه المعتاد الذي يشاهد فيه غروب الشمس.

وهو يتمشى سارحًا في اللاشيء ، كان ينظر للسماء كثيرًا ، كانت النجوم واضحة ومُشعة ، كان يتمنى دومًا أن تكون روحه سماءٌ نقية ويكون قلبه نجمًا مشعًا كلما شعر بالحب توهج.

ومن حُسن حظه عندما وصل لمكانه وجد سيلين جالسة هناك وسارحةً في السماء كأنها نجمةٌ وقعت للتو على الأرض.

تفاجأت عندما وجدته ، كانت تفكر به في هذه اللحظة ، ولم يخطر ببالها أبدًا أنه قد يأتي هكذا ببساطة ، من شدة دهشتها ظنت بأنها تحلم أو أن هذا من وحي خيالها.

تفاجأ سام أيضًا ولم يكن يتوقع بأنه سيجدها في هذا الوقت ، اعتقد بأنها تنام في هذا المكان.

كانا الاثنين مندهشين تمامًا ، حتى أنهم لم يتحدثوا ، جلس بجانبها ونظرت إليه ثم نظرت للسماء مرة أخرى ، وهو نظر لها ثم للسماء ، كانا متفاجئين داخليًا ، لم يسمحوا للمفاجأة بأن تعكر الصدفة.

هكذا أحيانًا عندما نكون في حالة اللاوعي ، تقودنا الحياة لأشياء جميلة كالصدف سواء كانت جيدة أو سيئة ، وها هو سام تقوده الحياة نحو سيلين ، وكذلك سيلين.

انتهت سيلين من التمعن في السماء ونظرت لسام ، كأنها تريد أن تحفظ وجهه لمدة مئة عام..

سألته قائلة : ما الذي أتى بكَ إلى هنا والآن ، في هذا الوقت تحديدًا ؟

أجاب : هذا نفس السؤال الذي كنت سأطرحه عليكِ ، ولكن سأخبركِ.

صمت قليلًا ثم أكمل قائلًا : لقد شعرت بالضيق والاكتئاب ، فأخذت نفسي وخرجت من البيت حتي لا أتركها تستسلم له بسهولة ، كنوع من الهرب ... وأنتِ لماذا هنا الآن ؟!

أجابت سيلين : أنا مثلكَ عندما أشعر بالحزن أو الضيق أخرج وآتي إلى هنا ، أشاهد النجوم وأحسدها لأنها بعيدة عن كل هذا التعب ، ولكن رغم أنها بعيدة ، أشعر بأنها تمتص حزني تدريجيًا حتي ينتهي تمامًا ، وأعود للبيت.

ثم قالا الاثنين معًا " جميلةٌ هي النجوم " ، ونظرا لبعضهما باستغراب ودهشة، ثم ضحكا معًا ، وتلاشت أحزانهم وهُم ، كانت ليلةً جميلة حقًا لهما ، كلٌ كان سعيدًا بالآخر.

***

لا مفر من الاكتئاب مهما قالوا لك ، ومهما أوهموكَ بأنه يتلاشى ببعض الحب ، إنه يأتي ويذهب لكن حتمًا لن يغادرك.

هناك طُرق كثيرة تؤدي بكَ نحو الاكتئاب ، مثل خروج كلمة -أو عدة كلمات- من فم أحدهم تؤذيك وتفتتك وهو لا يدري سوى بهذه الكلمات ، أو مثل الأماكن التي كانت بها ذكرى معينة ، من ذكرى جميلةً ثم إلى ذكرى مؤلمة ، أماكن كهذه قد يسكنها هواءٌ مليء بالكآبة والأسى.

كان سام جالسًا يقرأ كتابًا ، ثم بدأ يشعر بشيء غريب كأن شيئًا يضمه ويغمره بشعور هائل ، وبدأ يتفهم بأنه سيكتئب ، الكآبة الأولى كأنه يشعر بها كأول مرة ، أحس بأنه يتنفس الاكتئاب ، رأى الهواء حوله كآبةً ، ولم يكن هناك مفر من الهواء ، وستشعر به حتمًا.

عرِف سام حينها بأنه لن يتخلص من الاكتئاب كما اعتقد ، وبأن الحب لن يحميه منه أيضًا ، فقرر حينها الاستسلام له وتحمله ، كان يدرك بأن الاستسلام لشيء كهذا .. انتصار.

هل الاكتئاب شعور أم لعنة ؟ ، هل ينتهي أو يتوقف بشيء آخر غير الحب ؟ هل سيلازمنا دومًا حتى مماتنا ؟ ، هل يعلم الله به وبما يفعله بنا ؟ ، هل سيُبقي فينا قطعةً منه في كل مرةٍ يتلاشى فيها حتى يعود لأجلها ؟ ، هل الانتحار سيوقفه ؟

وهكذا بدأ سام يرجع للوراء ، للاكتئاب وفكرة إنهائه بالانتحار ، وشعوره بأنه منبوذ وخطأ واضح في هذه الحياة.

غرق سام في الاكتئاب مجددًا ، لم يعرف السبب الذي أدى لذلك ولم يكن يدري ماذا عليه أن يفعل ، لقد كان يقوم بأشياء لا يدري ماذا تُعني ، مثلًا أنه خلال هذا الاكتئاب لم يكن يرسل الرسائل إلى لورا وكان يرى سيلين وتبتسم له ولا يبتسم لها وأحيانًا كان لا ينظر إليها بتاتًا.

أدركت سيلين بأن هناك شيء ما به ، وأدركت لورا بأن سام ليس على ما يرام ولم يكن في استطاعتها إلا أن ترسل له العديد من الرسائل.

عندما تغرق في الاكتئاب يتحكم بك شخصٌ آخر غيرك ، لا تعرفه ولكنه يعرفك ، يقوم بفعل أشياء غريبة جدًا ، لدرجة أنك تتسائل فيما بعد لماذا وكيف ، ويظن البعض أنه أنت وهي أفعالك عن قصد ، كم هذا سخيف حقًا.

لذا لا تصدق كل ما يحدث من شخصٌ مكتئب ، حاول أن تفهمه فقط ، حتى وإن لم تستطع ، المهم أن تحاول ، لعل محاولة من محاولاتك المتكررة قد تفهمه أو على الأقل تُذهب الاكتئاب.

استمر سام هكذا لمدة ليست بطويلةٍ ، كان يقرأ رسائل لورا ويشعر بأن هذه شفقة ، لم يكن يدرك بأنها تنهار بدونه وتدعو الله بأن تقرأ له ولو حرفًا واحدًا

لتطمئن ، كانت تريده وبشده لكنه لم يدرك قط ، تمنت لورا حينها لو أنها رأته وعرفت أين يسكن.

كان شخصًا آخر متحكم بسام كليًا ، كان سام يكافح ويقاتل نفسه حتي يخرجه منهُ ، كأنه يخوض حربًا بينه وبين نفسه ، ولكن المعروف دائمًا بأن الحرب تؤثر سلبًا على الطرفين.

وما لبث حتى عاد سام من رحلته الاكتئابية هذه وأرسل مسرعًا إلى لورا ليطمئنها ولأنه اشتاق ، حقًا اشتاق.

رسالة من سام

" عزيزتي لورا التي أحبها دومًا...

لقد حدث ما كنت أخشاه يا عزيزتي ، نعم ، لقد وقعت في الاكتئاب مجددًا لاإراديًا ، لم يكن هناك أسباب دفعتني له ولم أذهب إليه ، هو الذي جاء لي كمُشتاق..

حقًا إن ما نخشاه يحدث يا عزيزتي ، مجرد التفكير في الشيء يجعل له وجود لذا يستغل وجوده معنا أو علينا.

ماذا عليّ أن أفعل يا لورا ، لقد سئمت وتعبت من هذا الشيء..

تخيلي مُتعبٌ من شعور ... مجرد شعور.

هل عرفتي الآن سر السعيّ وراء الانتحار ، لأني تعبت ، مُتعبٌ لدرجة التوقف مهما كانت النتيجة –الجحيم- بعد ذلك.

أنا متأكد بأن في يومًا من الأيام سأنتحر ، ولا لهذا علاقة بأني أُحبكِ.

أرجو أن تفهمي جيدًا بأنني لم أستطع الرد على رسائلك السابقة ، وآسف على تأخيرها وعلى الساعات التي كنتي فيها قلقة وضاعت سُدى. "

رسالة من لورا

" عزيزي سام...

أعلم وأتفهم بأنك مُتعب حقًا ، وأنا مثلكَ تمامًا ، ولكني سأذهب معكَ بعيدًا ، مرةً واحدة ، وإلى الأبد.

أنت من منحت لحياتي المعنى وأعدت لقلبي ما سُلب منه من أمان ومن حياة..

إذا رحلت سأرحل معكَ ، أنا لا أريد مواجهة هذا العالم وحدي ، بي حزنٌ عميق لا يزول إلا بك.

عزيزي ، أحيانًا أُفكر بأن علينا الذهاب بطريقة مختلفة عن هذه الحياة غير الطريقة المألوفة التي تُسمى الموت ، أترى لقد جعلتني أفكر مثلك في الانتحار ، هيا قل لي متى سنرحل ؟

إن لم أكن سأموت بجانبك فلا داعي بأن ننتحر سويًا عزيزي. "

شعر سام بأنه ليس وحيدًا حينها ، وأحس أيضًا بأنها تشفق عليه رغم صدق كلامها ، اضطراب مشاعر وهلوسة داخلية ومعارك نفسية ، كان مُدمَرٌ تمامًا ، لدرجة أنه لم يكن يعرف نفسه.

خرج من بيته ليشعر بقليل من الحرية ، أو عل الشخص الذي لا يعرفه – بداخله– يتوه منه في الزحام أو يُعجب بشخص آخر ويدخله بدلًا منه.

ثم تمشى سام وسط الزحام ينظر لوجوه المارة ، كأنه يقرأ حياتهم من خلال وجوههم ، حتى تعب وشيء ما ناداه من الداخل بأن يذهب لمكان الغروب المعتاد ، فأخذ يمشي بإتجاه الطريق المؤدي إليه ، وهناك وجد سيلين.

سام : مرحبًا ، كيف حالكِ ؟

نظرت إليه سيلين بإستغراب..

سيلين : كيف حالكَ أنت ليس أنا ، ماذا بكَ ، هناك خطب ما بالتأكيد وأريد معرفته !

سام : لقد كنت في أسوأ أحوالي يا سيلين ، بل لم يكن هناك حال من الأساس ، كنتَ في حرب معي ، كنتَ شخصًا آخر لا أعرفه ولا أطيقه.

سيلين : يا إلهي ، لقد كنت مكتئبًا كما اعتقدتُ ، كان واضحًا عليك هذا ، كنتَ شفافًا حينها ورأيت ذلك.

سام : آسفٌ إذا قمتُ ببعض الأشياء السخيفة معكِ وقتها ، كعدم الابتسام لكِ.

سيلين : لا بأس ، كنت أُدرك بأن هناك شيء يدفعك لفعل ذلك.

رن هاتف سيلين فجأة فقامت بالرد سريعًا ، كانت والدتها ، وكان يجب عليها أن تذهب لها.

سيلين : آسفة عليّ الذهاب فورًا أمي تحتاجني ، كنت أريد أن أعطيك شيئًا لكن يجب أن يكون هناك وقتٌ كافي لأشرح لك.

سام : حسنًا لا بأس ، يومًا آخر.

قاطعته سيلين : حسنًا ما رأيك غدًا ليلًا حتى نشاهد النجوم معًا وأعطيك هذا الشيء ؟

سام : حسنًا ، اتفقنا ولا تتأخري.

ثم ذهبت مع الريح ، وكان يفكر سام ما هو الشيء وكيف سيكون.

جلس قليلًا حتي انتهى الغروب وعاد إلى بيته ، كان وحيدًا حقًا ، لدرجة أنه لا يتفاعل مع من يعيش معهم ، هؤلاء الأشخاص الذين يُسمون بالعائلة ، وإذا حدث وتكلم مع أحد رد عليه بكلمةٌ فقط أو نصف جملة أو يتكاسل عن الرد.

داخل غرفته يفكر كثيرًا بشأن سيلين ، لم يكن في هذا اليوم أي رسالة من لورا ، لذا كان مُجبرًا على التفكير في هذا الأمر ، لم يكن عليه سوى الانتظار الذي يجعله كشمعةٍ تنصهر تدريجيًا.

***

انتظر سام كثيرًا وكان الانتظار يأكله ككل مرة ، ولم يستطع صبرًا فذهب قبل الموعد بكثير ، قرر أن يشاهد الغروب وينتظر سيلين هناك حتى تأتي ومعها هذا الشيء.

هناك لحظات صغيرة جدًا تحدث يكون فيها لحظات أخرى كبيرة.

حينما كان سام مستمتعًا بالغروب ، كانت على بُعد مسافاتٍ منه لورا ، كانت هناك تضع رسالتها له ، ونظرت نحو المنظر ووقعت عينيها عليه أيضًا ، ولكنها لم تكن تعرف بأنه هن سام ، ولم يكن يعرف بأنها لورا ، وضعت الرسالة ونظرت للغروب لمدة قصيرة ثم رحلت.

ليته كان رآها من قبل أو على الأقل نظر لها ولكنه كان مُديرًا ظهره ، ولم يراها.

كان سام جالسًا وما زال التفكير والانتظار يأكلانه ، حاول كثيرًا أن يذهب بعقله بعيدًا ويفكر بأيّ شيء آخر ولكن عبثًا ، كأنه في يومٍ عاصف وليس من ملجأٍ سواها –سيلين–.

انتظر طويلًا جدًا حتى ملّ من الجلوس ، فقام يمشي هنا وهناك ، مرةً ينظر للأرض وأخرى للسماء ، يفكر بأمر هذه التفاحة الغبية التي أنزلتنا من مكان عظيم كالجنة ، الآدميون أغبياء وسيظلون كذلك مهما أدّعوا الذكاء.

وأخيرًا قد أتت سيلين ، وعندما رآها شعر بالهواء الخفيف البارد كالنسيم ، كأنها جعلته يشعر بالأشياء من حوله ، وقتلت الانتظار بمجيئها.

سيلين مبتسمة : مرحبًا ، كيف حالك ؟ هل تأخرت عليكَ ؟

نظر لها سام ورآها جميلة جدًا ، كأنه يراها لأول مرةٍ..

سام : لا لم تتأخري يا جميلة ، ولكنني هنا منذ بداية الغروب ، لم أستطع أن أبقى في البيت.

سيلين : كنت أفكر كثيرًا بأن آتي لهنا وقت الغروب ، شيءٌ ما داخلي دفعني لأن آتي ولكني لم أصدقه ، لعله أنت.

سام : ليتكِ أتيتِ حينها ، ولكن لا بأس ، أحيانًا نتمنى أن يأتي أحدهم ولكنه لا يفعل ، ظنًا منه أننا لا نريده ولا نتمناه أن يأتي ... يأتي فحسب.

سيلين : لا بأس ، الحياة دائمًا تعبث معنا.

صمتا الاثنين معًا لفترةٍ ، نظرا للسماء يتمعنان في نجومها البراقة ، ليت الإنسان كان نجمًا ، يظل مشعًا لفترة طويلة جدًا وإذا تعب ينطفأ ... هكذا ببساطة ينطفأ ، دون مقاومة أو محاولةٌ.

سأل سام : ما رأيكِ يا سيلين إذا كان في استطاعتنا أن نكون نجومًا ، ماذا ستفعلين ؟

ردت سيلين : لطالما تمنيت أن أكون نجمةٌ ، عالية وبعيدة عن أيدي البشر ، ينظرون لي بُحب فقط ، سأكون مُشعة دائمًا ، واذا حزنت سأنطفئ للأبد.

صمتا مجددًا وظلوا هكذا ، كان يسألها وترد عليه كأنها تتحدث من قلبها أو قلبها يتحدث ، وهو كذلك كان يُجيب ولكن ببؤس أظهر لها بأنه متمردًا على الحياة.

تأخر الوقت وكلاهما كان سعيدًا جدًا ، كأنهما أول مرةٍ يذوقا طعم السعادة الحقيقية ، رغم أن كُلًا منهما يُدرك بأن السعادة ما هي إلا لحظات صغيرة في هذه الحياة ، وهمّوا بالرحيل.

سام : سعدتُ كثيرًا بهذه اللحظات ، شكرًا لكِ حقًا سيلين ، وبالمناسبة إنكِ جميلةٌ ومثالية اليوم.

سيلين بخجلٍ : وأنا أيضًا سعيدةٌ بوجودي معكَ سام ، وشكرًا لكَ أيضًا بأنك أتيت.

أكملت سيلين بعد أن ضحكت ، الضحكة التي أحبها كثيرًا...

سيلين : أريد أن أعطيكَ شيئًا ، ولكن بشرط أن تراه عندما تصل بيتك وليس هنا.

سام : حسنًا اتفقنا ، أعطيني هذا الشيء.

أخرجت لورا من حقيبتها ورقة ، وأعطتها له وهي تنظر لعينيه وتفاصيل وجهه ، ثم أخذها سام ووضعها في جيبه.

سيلين : افتحها واقرأها عندما تصل ، وليس هنا ولا في طريقك رجاءً.

سام : حسنًا لا تقلقي.

ورحل كُلٌ منهما سعيدًا بالآخر ، وهو في طريقه وجد رسالة لورا فأخذها ، وعرف بأنها أتت مجددًا ولم يراها ، ثم أخذ يفكر كثيرًا ما الذي بداخل الورقة ، وكانت سيلين قلقة جدًا ومترددة ، مشي سريعًا سام إلى بيته حتى يقرأ ما بداخلها.

وصل سام لبيته ودخل مسرعًا غرفته ، استلقى على سريره وأخرج الورقة وبدأ يقرأ كلماتها..

" سام ، لم أستطع أن أُخبركَ بهذا الكلام والشعور وجهًا لوجه ، لذا فضلتُ كتابته لك في هذه الورقة ، انصت لي ، منذ أن ألتقيتُ بكَ وجدتُ معنى لحياتي ووجودي ، ولم أعُد وحيدةٌ كما من قبل ، كنتُ قد ضللت طريقي وأصبحتُ تائهةٌ كليًا ثم ظهرت أنت وأنرتَ لي الطريق ، بكَ قتلتُ وحدتي وأصبحتُ سعيدةٌ حقًا ودائمة التفكير بكَ ، لقد أحببت تواجدكَ معي في مكاني المفضل..

إنكَ غريبٌ ، حذِر ، مُستقل ، وحيدًا مثلي ، تفهم تلك الحياة ، مجنونٌ قليلًا ، وجميلٌ.

هذا كل ما عرفته عنك خلال هذه الفترة ، لذا لنختصر كل هذا ودعني أقول

لكَ بأني ... أحببتك.

وقعتُ في حُبك دون إرادة ، مشيتُ نحوكَ دون خوف ، والآن أنا أُحبكَ سام."

قرأ سام هذه الكلمات وهو متفاجئ ومندهشًا مما قالته ، لم يفكر قط بأن هذا قد يحدث ، ماذا سيفعل معها أو سيقول لها ، ماذا عن لورا ورسائلها ، هل يقول لها ما حدث أم ستظن بأن هذه خيانة ، لا يعرف حقًا ماذا سيفعل ، ثم لاإراديًا قرأ كلماتها مجددًا.

ثم لاحظ بأن هناك كلمات لم يقرأها في الناحية الأخرى من الورقة ، كتبت..

" إذا كان الجواب بالرفض فأنا سأظل أحبك ، وإذا كان بالموافقة سأظل أحبك للأبد. "

ثم بدأ في قراءة رسالة لورا.

رسالة من لورا

" عزيزي سام ، لقد اشتقت لكلماتك جدًا ، لماذا لم تعُد تكتب لي كثيرًا وتكتفي ببعض الجُمل القصيرة فقط ، أُكتب لي كثيرًا أنا أحب كلماتك وأحب أن تكتب لي ، احكي لي عن التفاصيل الصغيرة التي تحدث لك ، احكي لي عن كل شيء وأيّ شيء.

اليوم شاهدت الغروب عندما وضعتُ لك الرسالة ، كان المنظر جميلٌ جدًا.."

توقف سام فجأةً عن القراءة ولم يتمكن من إكمال الرسالة ، أحس من كلامها بأنها تحبه لأنه يكتب لها ويقول لها ما تريد أن تسمعه ، حتى إنها لم تقُل يومًا بأنها تريد أن تراه ولو من مسافةٍ.

شعر فجأة بأنه تعب من هذه الرسائل ومن كتابتها ، وشعر بأنه على وشك أن يكتئب مجددًا ، بدأت الأفكار تأكل من عقله ومن حبه.

استسلم سام -كالمعتاد- للإكتئاب والأفكار التي تخوض حربًا معه ، أحس بأن حب لورا له مزيفًا وبأن حب سيلين حقيقي لأنه نابعًا من قلبها ، وأعاد التفكير في كل ما حدث سابقًا جعله يعرف لورا وتسائل ، هل كانت ستتحدث مع أيّ أحد يجد رسالتها ؟ هل كانت ستحبه هكذا ببساطة ؟

وغرق سام في الاكتئاب دون أن يشعر ، لقد تعِب من كل شيء ... حتى نفسه.

هكذا هي الحياة ، عندما نظن بأننا قد انتصرنا عليها ، تفاجئنا بأشياء أخرى وتضحك ساخرةٌ من سذاجتنا وحماقتنا ، يا لها من حياة !

هل ستفتقدنا الحياة يومًا حين يأتي الموت ونذهب معه ، هل ستجد من تعبث معه كما تعبث معنا ، هل ستكون حينها وحيدةٌ ... مثلنا ، هل إذا ذهبنا نحن للموت بالطريق المُختصر الذي يُسمى الانتحار سنضحك على الحياة ساخرين منها كما فعلت ؟

قرر سام عدم إرسال أيّ رسائل إلى لورا لمدة حتى يرى ماذا ستفعل دونه ، وأن يذهب إلى مكان سيلين ويتحدث معها بخصوص هذا الأمر الذي يتعلق بحبها له ، وهو في كامل اكتئابه.

ذهب إلى سيلين مباشرةً بعد أن قرر ذلك وعندما وصل وجدها..

سام بهدوء : لم يكن عليكِ فعل ذلك يا سيلين ، لم يكن عليكِ أن تحبي شخصًا مثلي بائس ومؤقت ، ومجنون كما قولتي ، وقد ينتحر بأي لحظة من اللحظات ، وغير قادر على الحب.

سيلين : هذا الأمر ليس بيدي يا سام لقد أحببتك رغمًا عني ، ولكن لا بأس إذا لم تكن تريد أو لم تُحبني ، أنا اعتقدتُ بأن هذا حب لأنك انتشلتني مما كنت فيه.

سام : لا تنخدعي ، الحب ليس له علاقةً بتاتًا بالوحدة والحزن والاكتئاب ، إنه شيئًا آخر مختلفًا.

نظرت له سيلين وتساقطت منها دمعةً واحدة هزته داخليًا وقلبته رأسًا على عقب..

قالت سيلين باكية : لكنني أحبكَ حقًا وهذا ما أريد فعله لبقية حياتي.

قالت هكذا ورحلت من أمامه وهي تبكي ، لم يستطيع أن يوقفها أو حتى أن يخرج حرفًا من فمه.

مرةً أخرى الحياة تعبث مع سام وأمامه وقد رأى ذلك ، حين همّت سيلين بالرحيل وكانت لكثرة دموعها لا ترى جيدًا ، وهي تمشي عند مُفترق الطريق اصطدمت بفتاةٍ أخرى ، ثم علِمت الفتاة بأن هناك شيءٌ ما حدث معها ، ثم نظرت الفتاة ناحية سام وعرِفت بأنها كانت تبكي بسببه.

كان سام ينظر لها أيضًا ، بعد أن انتهت من نظراتها له ، أخرجت ورقةٌ من حقيبتها السوداء ووضعتها بالمكان الذي يضع فيه سام الرسائل ، ثم بكل برودٍ ولامبالاةٍ بدأ سام يضحك بسخرية على ما حدث ، أو بمعنى آخر كان الشخص الذي يتحوّل إليه حين يكتئب يضحك ويسخر منه.

ها هي لورا ، أخيرًا رآها وعرفها ، وهي لم تعرفه ولكن بالتأكيد إذا رأته لن يكون هذا جيدًا أبدًا ، هل لهذه الدرجة الحياة تعبث مع الآخرين.

هكذا فقد سام لورا وسيلين ، واذا استمر مع لورا سيظل يكتب فقط ولن يقدِر على مصارحتها في النهاية وأنها بالتأكيد ظنت بأن هناك شيء بين سام وسيلين حين اصطدمت بها دون قصد.

ظلّ سام يضحك بسخرية على هذه الحياة والقدر وكل شيء أدى إلى ما حدث ، ظل يضحك حتى وصل بيته وعندا دخل غرفته صمت صمتًا غريبًا جدًا، كأنه يحاول أن يسمع صوت نملة وهي تمشي.

***

ظل سام صامتًا طويلًا لا يتكلم مع أحد ، وقد تمكن منه الاكتئاب تمامًا ، الشخص الداخلي فيه يتحدث معه كثيرًا ويقول له أفعال متناقضة جدًا ، كالكتابة إلى لورا أو الذهاب لمقابلة سيلين وإخبارها بأنه أحبها أو ليضع حدًا لتعبه وهذا كله بالانتحار.

لكنه كان يميل لفكرة الانتحار كثيرًا لأنه سيتوقف عن تعبه وعن ممارسة وجوده ، كانت تبدو له فكرة الانتحار أسهل من عملية النوم لديه.

لم يكن سام يرسل شيئًا إلى لورا ، وكان يذهب كل يوم إلى مكان سيلين ولم يجدها ، كان وحيدًا ولا يدري ماذا يفعل ، تعِب من فكرة وجوده ومن طريقته في التفكير لذا جعل الشخص الداخلي فيه يتحكم ولو قليلًا علّه يرتاح من تعبه أو يلتقط أنفاسه.

قرر إرسال رسالة قصيرة إلى لورا ، قال فيها..

" عزيزتي لورا ، آسف على كل شيء ، ولكني سأنتحر ، لذا لا ترسلي أيّ رسائل أخرى ، أنا حقًا تعبت من كل شيء ، ولا يوجد أي شيء قد تقدميه لي حتى أتوقف عن ذلك ، تخيلي أنا متعب لدرجة أن حبكِ لي لا يوقف هذا التعب ، أنا أحبكِ لورا. "

كتب سام هذه الرسالة وذهب ليضعها مكانها ، وجد الكثير من رسائل لورا ولكنه لم يفتحها ولم يعُد يرغب بأن يقرأ شيئًا منها.

ذهب سام –الشخص الداخلي- إلى مكانٍ فيه مبنى عاليًا وصعد إلى سطحه دون أن يراه أحد ، وقف عند الحافة ونظر للأسفل ، فكّر في أشياءً كثيرة ، الله ، أهله ، لورا ، سيلين ، الجنة ، الجحيم ، الحياة التي تحب العبث بأشيائنا الثمينة ، لحظات السعادة والحزن وغيرهم.

بكى سام حين فكر في كل هذا ، رغم أنه لم يستطع البكاء يومًا ولو حتى على موت أحدٍ من أهله ، دقات قلبه تتسارع ويتقدم للحافة تدريجيًا ، ثم فجأة صمت وتوقف عن البكاء ، وكأنه تحكم في قلبه وأوقفه ، ثم أغمض عينيه وقفز ، مُغمض العينين ويشعر بأنه يطير للأعلى لا للأسفل ، ثم أحس بأنه قد أطال في الطيران ففتح عينيه فجأة فوجد الأرض أمام عينيه.

انتفض سام من سريره وقلبه ينبض بسرعة شديدة حتى كاد ينفجر ، نظر سام حوله فوجد الرسمة التي رسمها لفتاة على ورقة ، لقد أدرك بأنه كان يحلم ، كل هذا مجرد حلم فقط..

ظلّ سام مندهشًا جدًا ، لقد كان يعتقد بأن كل هذا حقيقي وواقعي ، كيف لكل هذا أن يكون حلم !

ظن بأن الحياة تعبث معه حقًا وبأنها ستطارده من كل ناحية حتي يقتل نفسه، ولكن لماذا ، هل لأنه فهمها وعرف كيف يضحك عليها ، أم لأنه لا يبالي بما تفعله وتريده أن يلتفت لها.

تذكر سام بصعوبة كل ما حدث فيه هذا الحلم ، وتذكر كم هو وحيدًا ومتشائمًا ، مُتعب من كل شيء حوله ، مُتعب فحسب.

فكر سام كثيرًا ، وتمنى لو كان أي شيء ، حائط ، دولاب ، منضدة ، نافذه ، باب ، مصباح ، أو حتى قطعة من حجر في عجلة سيارة..

لكن ماذا لو كان كل هذا يشعر بالوحدة أكثر منا ، ماذا لو كان كل هذا مُتعب ويأنّ مثلنا لكن بطريقةٍ مختلفة ؟

وحين فكر في نهاية الحلم وفي الانتحار تحديدًا ، مال إلى هذه الفكرة ، وظن بأنه قد يكون حلًا لكل شيء ، من الاكتئاب ووحدته وأهله ... ونفسه.

من كثرة التفكير اكتئب سام وخشيّ أن تظل الحياة والقدر ضده دائمًا ويظلان يسخران منه ، فقرر أن يسخر هو منهم وأن يفعل كما فعل في الحلم ... أن ينتحر.

هناك أشخاصٌ كثيرة بداخلنا ، وكل شخص له شعور ، بمعنى أنه إذا شعرنا بالحب يخرج شخصًا مُحب وقادر على أن يمنح الحب لمن نحبه ، وإذا شعرنا بالحزن والكآبة يخرج شخصٌ مُتعب من كل شيء ويرغب بالتلاشي والعدم ، كل ما علينا فعله هو أن نستطيع السيطرة عليهم جميعًا ، وإلا سنذهب مع شخصًا واحد بشعور واحد.

قرر سام أن يكتب رسالة انتحار ويضعها في جيبه.

رسالة انتحار سام

" لقد تعبت من وجودي وكل شيء حولي ، الأمر كله بسبب أنني مُتعبٌ فقط..

ما فائدة كل هذا الذي يحدث ، الحياة التي تشبه المسرحية ونقوم فيها بالأدوار فحسب ، ما فائدتها من الأساس ، أنا لا أريد أن أُكمل هذه المسرحية ، لقد طفح كيلي وسئمتُ من هذا الهراء.

ها أنا سأجلس مع الذين يشاهدون المسرحية وسأضحك عليكم وعلى ما تفعلونه ، سأسير نحو العدم ، لأنني تعبت. "

اكتفى سام بهذه الكلمات ، ثم وضع الورقة في جيبه وخرج ليجد مكان مناسب لإنهاء هذه المهزلة ، كان يسير دون أن يفكر بأي شيء ، كأنه ترك رأسه في البيت وخرج دونها ، كان صامتًا كالعادة ، ولأول مرة أحس بأنه بدأ يتحكم في تفكيره ولا يفكر بأي شيء.

ها هو سيضحك على الحياة ويسخر منها ، وسيوقف تعبه ونفسه وسيعود ترابًا كما كان ، كأنه لم يكن ، وبالتأكيد سيُنسى كما كان منسيًا.

وهو في طريقه حدث ما لم يتوقعه وكأن الحياة التي كانت تضحك عليه ضحكت له ، وجد ظرفًا وبه رسالة ، وتفاجأ حين وجد مكتوب عليه " إلى مجهول " ، شعر بأنه في حلمًا آخر ولم يصدق ما يحدث له ، حقًا هذا لا يُصدق.

أخذ الورقة وجلس على مقعد كان بالقرب وقرر أن يفتحها الآن ، وقرأ نفس الكلمات التي كانت في الرسالة الأولى من لورا في حلمه ، ولكن كان هناك شيءٌ كبيرًا ينتظره في آخر الرسالة..

ظل يقرأ وهو غارقًا في دهشةٌ شديدة ، لدرجة أنه إذا حكى لأي أحد -مهما كان- كل هذا لن يصدقه ، وسيطلق عليه لقب مجنون أو مُختل.

حين وصل لنهاية الرسالة وجد المفاجأة الكبرى..

لقد كان اسم المُرسل "سيلين".

تراجع سام عن الانتحار ، وأدرك بأن هذا يسمى فرصةٌ للحياة من الحياة.

تمت بحمد الله.